دراسات فى الحضارة الإسلامية

٦ - الجهاد

فى التفكير الاسلامى

بحث علمى يعتمد - أساساً - على القرآن الكريم ، ويصف الداء والدواء

تأليف

الدكتور أحمد شلبى

دكتوراه من جامعة كمبردج

أستاذ مساعد للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

كلية دار العلوم — جامعة القاهرة

دراسات فى الحضارة الإسلامية



٦ - الجهاد في التفكير الاسلامي

بحث علمى يعتمد - أساساً - على القرآن الكريم ، ويصف الداء والدواء

تأليف

الدكتور أحمد شلبى

دكتوراه من جامعة كمبردج

أستاذ مساعد للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

كلية دار العلوم — جامعة القاهرة



الناشر : مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلى — القاهرة

الطبعة الأولى (١٩٦٨)

دار الاتحاد العربي للطباعة
لصاحبها محمد عبد الرازق

١٩ كنيسة الارمن ش الجيش
تليفون : ٩٣٤٠٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحضارة الإسلامية ...
منحة الإسلام لهداية البشرية

كتب للمؤلف

أولا — التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

دراسة تحليلية شاملة فى ثمانية أجزاء ، لتاريخ العالم الإسلامى فى جميع العصور وجميع الأنحاء ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى أسهم بها المسلمون فى ترقية العمران ، وتطوير الفكر البشرى .

ظهر منه الأجزاء التالية :

١ — الجزء الأول :

العرب قبل الإسلام — الرسول : حياته وأعماله — الخلفاء الراشدون — فلسفة الدعوة الإسلامية . (الطبعة الخامسة)

٢ — الجزء الثانى :

الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية فى عهدها . (الطبعة الثانية)

٣ — الجزء الثالث :

العصر العباسى الأول ، ودور المسلمين خلاله فى خدمة الثقافة الإسلامية والعالمية . (الطبعة الثالثة)

٤ — الجزء الرابع :

الأندلس الإسلامية — المغرب — الجزائر — تونس — ليبيا (من مطلع الإسلام حتى الآن) — السنوسية : مبادئها وتاريخها . (الطبعة الثانية)

٥ — الجزء الخامس :

مصر وسوريا من مطلع الإسلام حتى الآن — الحروب الصليبية : أسبابها — أدوارها — نتائجها — الإمبراطورية العثمانية منذ ظهورها حتى الآن .

٦ — الجزء السادس :

موريتانيا — مالى — السنغال — غينيا — النيجر — نيجيريا — السودان — الصومال — تنجانيقا وزنجبار ..... (منذ دخولها الإسلام حتى الآن)

(الجزءان السابع والثامن سيظهران قريباً إن شاء الله)

كتب للمؤلف

ثانياً ـــ دراسات فى الحضارة الإسلامية

دراسة تحليلية شاملة فى ستة أجزاء، تبرز الاتجاهات الحضارية التى جاء بها الإسلام لهداية البشرية ، فى شئون الفكر ، والسياسة والاقتصاد، وفى مجال الحياة الاجتماعية والتربوية والعسكرية وتشمل:

٧ ـــ الفكر الاسلامى :

منابعه وآثاره : (الطبعة الثانية) (مترجم عن الانجليزية) .

٨ ـــ المجتمع الإسلامى :

أسس تكوينه ـــ أسباب تدهوره ـــ الطريق إلى إصلاحه .

(الطبعة الثالثة)

٩ ـــ تاريخ التربية الإسلامية :

دراسة عميقة وشاملة لفلسفة التربية عند المسلمين ، ولمناهج التعليم وأمكنته ، وللاجازات العلمية ، وملابس المدرسين ، ونقابة المعلمين ، وتوجيه التلاميذ حسب مواهبهم .. .. (الطبعة الثالثة)

١٠ ـــ السياسة والاقتصاد فى التفكير الإسلامى :

مع المقارنة بالاتجاهات السياسية والاقتصادية الحديثة (الطبعة الثانية)

١١ ـــ الحياة الاجتماعية فى التفكير الإسلامى :

فى نطاق الأسرة كالختان وتحديد النسل وعمل المرأة ... .

وفى نطاق المجتمع كالأفراح والمآتم والموسيقى والغناء ... .

وفى نطاق المال كصناديق التوفير والبنك الإسلامى والربا ... .

١٢ ـــ الجهاد فى التفكير الإسلامى :

بحث علمى يبرز اتجاهات الإسلام فى مشكلات الحرب كالاستعداد للجهاد ووسائله ، وأخلاق المجاهد ، والخديعة فى الحروب ، والثبات والفرار ، والتجسس والخيانة ، والهدنة والأسرى ... ...

كتب للمؤلف

ثالثاً — مقارنة الأديان

سلسلة من الكتب فى مقارنة الأديان ، تعتمد على أدق المراجع بمختلف اللغات ، وتمتاز دراستها بالحيدة والعمق ، وتشمل :

١٣ — اليهودية : (الطبعة الثانية)

اليهود فى التاريخ من عهد إبراهيم حتى الآن — الصيونية — أنبياء بنى إسرائيل — عقيدة بنى إسرائيل — يهوه إله بنى إسرائيل — التعدد والتوحيد فى الفكر اليهودى — التابوت والهيكل — الكهنة والقرابين — مصادر الفكر اليهودى : العهد القديم — التلمود — بروتوكولات حكماء صهيون — اليهود فى الظلام : الماسونية — الروتارى — الاغتيالات — التجسس — البابية والبهائية .

١٤ — المسيحية : (الطبعة الثالثة)

المسيح والمسيحية فى نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة — بولس واضع المسيحية الحالية : التثليث — صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر — شعائر المسيحية — المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية — المجامع — طبيعة المسيح والآراء فيها — الطوائف المسيحية — الرهبنة والأديرة — حركة الإصلاح الدينى ونتائجها ونقدها .

١٥ — الإسلام : (الطبعة الثالثة)

الله فى التفكير الاسلامى — النبوة فى التفكير الاسلامى — الروح والمادة فى التفكير الاسلامى — فلسفة العبادات فى الاسلام — غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى — الدين المعاملة — المرأة فى الاسلام — الرق وموقف الاسلام منه — السياسة والاقتصاد فى الاسلام . . . .

« المسيحية » و « الإسلام » ترجما للغتين الاوردية والانجليزية .

١٦ — أديان الهند الكبرى « الهندوسية - الجينية - البوذية » :

تقديم عن : جغرافية الهند — سكان الهند — اللغات فى الهند — الأديان فى الهند دراسة الكتب المقدسة الهندية : الويدا — مهابهارتا — يوجاواستها — كيتا أهم العقائد الهندية : الكارما — التناسخ — الانطلاق والنرفانا — وحدة الوجود تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعيها . (الطبعة الثانية)

(الناشر : مكتبة النهضة المصرية)

كتب للمؤلف

رابعا — كتب فى الثقافة العامة وكتب بلغات أجنبية

١٧ — كيف تكتب بحثاً أو رسالة :

دراسة منهجية لكتابة الأبحاث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه .
(الطبعة السادسة — مكتبة النهضة المصرية)

١٨ — الاشتراكية :

دراسة علمية نقدية يدعمها اليقين الروحى وتشمل :

دراسة النظم الاقتصادية وكيف تؤدى إلى الاشتراكية — العدالة الاجتماعية والاشتراكية — الاشتراكية ومراحلها وأنواعها — اشتراكيتنا العربية : خصائصها وتطبيقها .

باللغة الانجليزية :

١٩ — History of Muslim Education
(دار الكشاف بيروت والقاهرة)

باللغة الاندونيسية :

٢٠ — Negara dan Pemerintahan dalam Islam
٢١ — Masjarakat Islam
٢٢ — Hukum Islam
٢٣ — Sedjarah dan Kebudajaan Islam I
٢٤ — « « « « II
٢٥ — « « « « III
٢٦ — Perbandingan Agama (Masihi)
٢٧ — « « (Islam)
٢٨ — Sedjarah Pendidikan Islam
٢٩ — Politik dan Ekonomi Dalam Islam
٣٠ — Perkembangan Keagamaan dalam Islam dan Masihi

كتب نفدت ولن يعاد طبعها :

٣١ — فى قصور الخلفاء العباسيين : (أكثر مادته تضمنها الكتاب رقم ٣)
٣٢ — الحكومة والدولة فى الاسلام : (أكثر مادته تضمنها الكتاب رقم ١٠)

كتب للمؤلف

خامساً – تعليم اللغة العربيـة لغير العرب

– برنامج شامل ميسر لتعليم اللغة العربية بكل فروعها لغير العرب.
– أول سلسلة من نوعها فى المكتبة العربية تملأ هذا الفراغ.
– تضم هذه السلسلة أربعة كتب متدرجة كالآتى :

٣٣ – تعليم اللغة العربية لغير العرب : (الكتاب الأول للمبتدئين)
هجاء - قراءة - تعبير - إملاء - خط - محفوظات

٣٤ – تعليم اللغة العربية : (الكتاب الثانى للمتقدمين)
– يقفز بالطالب من المرحلة المبتدئة الى المرحلة المتقدمة فى القراءة والحديث والكتابة.
– موضوعات جذابة من الفكر الاسلامى والعربى اختيرت من أمهات الكتب العربية ثم صيغت فى أسلوب مناسب.
مع أسئلة وتمرينات مفيدة – كبير النفع للطالب العربى وغير العربى

٣٥ – قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها (الجزء الأول)
عرض لجميع أبواب النحو العربى بطريقة تربوية سهلة.

٣٦ – قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها (الجزء الثانى)
عود لأهم أبواب النحو العربى بمزيد من الشرح والتفصيل، ودراسة مركزة واضحة لأبواب الصرف.

هذان الكتابان ضروريان للمثقف العربى وغير العربى

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

الإهـــداء

إلى المجاهد العربى ، والمجاهد المسلم ، أيًّا كانت رتبته العسكرية ، وأيًّا كان الميدان الذى يقف فيه .

إلى الشعب الذى يقف خلف المحاربين ، يُمِدُّهم بالمال والرعاية ، وينتظر دوره للمعركة . .

إلى هؤلاء جميعاً ، أقدم هذا الكتاب ، ليتدراسوا آداب الإسلام وتعليماته ، وليهتدوا بها وهم يصنعون التاريخ : تاريخ أنفسهم وتاريخ أمتهم .

والله يهدى إلى سواء السبيل

دكتور أحمد شلبى

مقـــدمة

من الشرف العظيم أن نسهم فى عيد القرآن[1] بحديث عن القرآن ، ومن حسن الحظ أن يكون هذا الحديث عن الجهاد ، فإن المسلمين فى هذه الآونة يمرون بفترة يعتبر الجهاد الوسيلة الأولى لحفظ كيانهم ، وما أسعدنى أن أقدم لهم من كتاب الله ، ومن تفاسيره والتعليقات عليه ما يشرح لهم الطريق الذى يقود إلى النجاح والانتصار .

وفيما رواه أنس عن الرسول صلى الله عليه وسلم « جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم » وإذا لم يكن فى المال سعة يُعتَدّ بها فى العون ، وإذا قصَّرت الأيدى عن حمل السلاح ، فإننى أطلق لسانى وقلبى أجاهد بهما لخدمة قضية هذا الجيل والأجيال التى تليه ، فاللهم اقبل جهادى بهما ، وباركه ، واجعل له أحسن النتائج .

---

(١) ألقى هذا البحث فى الندوة العلمية لأسبوع القرآن الكريم التى عقدتها جامعة أم درمان الإسلامية من ٢٤ فبراير إلى أول مارس سنة ١٩٦٨ بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على بدء نزول الذكر الحكيم .

وبهذا الجزء تتم سلسلة «الحضارة الإسلامية» وتتبين أجزاؤها الست دَوْرَ هذه الحضارة فى هداية البشرية ، وكيف شملت مختلف الميادين ؛ من سياسة واقتصاد ، إلى الحياة الاجتماعية والثقافية والعسكرية ، والشكر لله المعلم الأول والهادى الأعظم ، فلولا تأييده وعونه ما تمَّ ذلك العمل الكبير ، فلك يا رب انحناءةُ الشاكر الذاكر ، وندعوك دعاء ضراعة أن يظل معنا عونك وهدايتك ، لنصل إلى ما رسمناه من أهداف ، لخدمة الدين الحنيف والوطن الحبيب .

دكتور أحمد شلبي

امتداد الخرطوم فى العشرين من فبراير سنة ١٩٦٨

ما الجهاد فى التفكير الإسلامى ؟

الجهاد فى التفكير الإسلامى هو بذل الجهد فى مدافعة الشر واستجلاب الخير ، وقد يكون الجهد نفسياً وقد يكون مادياً ، والعدوُّ الذى نجاهده قد يكون ظاهراً وقد يكون خفياً ، وبعبارة أخرى قد يكون عدوًّا يعلن عداوته ، وقد يكون عدواً يتظاهر بمظهر الصديق الذى يحاول أن يجلب للإنسان اللذة والنعيم وهو فى الحقيقة يجلب له الوبال ويجرُّه إلى سوء المآل ، والإنسان مجاهد فى الحالين ، وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم جهاد الإنسان ضد العدو الظاهر بأنه « الجهاد الأصغر » لظهور العدو ، وللحرص منه ، والاستعداد لمنازلته ، وقصر مدة هذا الجهاد ، أما مجاهدة النفس ومحاربة الهوى فقد سماه الرسول « الجهاد الأكبر » لاختفاء العدو وخداعه ، وطول وسوسته ، استمع إلى قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقد عادوا مظفرين من إحدى الغزوات : رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . قالوا : وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ؟ قال : جهاد النفس .

على أن هناك ارتباطاً كبيراً بين الجهادين ؛ فالجهاد الأكبر تهذيب للنفس وتوجيه لها تجاه الخير ، وهى بذلك تستعد لجهاد العدو ، أما النفوس التى انحرفت ، وغلبتها الرذيلة ، وسارت مع الهوى ، فإنها لا تستطيع أن تواجه العدو ولا أن تصارع المعتدين .

والهدف الأسمى للجهاد هو إقامة مجتمع عادل خيّرٍ ، يسوده القانون والنظام ، ويأمن غائلة العدوان .

تلك مقدمة سريعة عن الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر ، نعود بعدها للجهاد المسلح الذى خصصنا له هذا البحث :

الدعوة للإسلام قبل الإذن بالقتال

جاء الإسلام والدعوة للخير هدفه ووسيلته ؛ إنه يسعى لخير الناس وإسعادهم فى معاشهم ومآلهم ، وهو كذلك يتخذ الرحمة والفكر السليم واليسر وسائله لتحقيق هذه الدعوة ، وإذا كان القرآن الكريم هو — فى الدرجة الأولى — عماد هذا البحث ، فإن القرآن يصور لنا هذا الهدف وتلك الوسيلة ؛ قال تعالى فى تصوير هدف الدين :

— وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين[1] .

— يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً[2] .

— ولقد جاءكم بكتاب فصلناه على علم هدًى ورحمةً لقوم يؤمنون[3] .

وقال فى تصوير وسائل الوصول لهذا الهدف :

— ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة[4] .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ . (٢) سورة النساء الآية ١٧٤ .
(٣) سورة الأعراف الآية ٥٢ . (٤) سورة النحل الآية ١٢٥ .

— يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر[١] .

— ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون[٢] .

— ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر[٣] .

— لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ماعنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم[٤] .

وفى ضوء هذه التعليمات سار محمد صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الإسلام متخذاً آداب الإسلام وتعليمات القرآن وسيلة له إلى قلوب الناس ، وقد بدأت دعوته فى مكة بطبيعة الحال ، فاستجاب له من استجاب ، وأعرض عنه من أعرض ، ولكنه سار حثيث الخطا ، فتبعه مجموعة من عظماء الرجال ، من أمثال أبى بكر وعثمان وسعد بن أبى وقاص وطلحة والزبير وعلى بن أبى طالب ، وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ، والأرقم بن

---

(١) سورة المدثر الآيات ١ — ٧ (٢) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .
(٣) سورة آل عمران الآية ١٥٩ . (٤) سورة التوبة الآية ١٢٨ .

أبى الأرقم الذى اتُّخِذت داره لتكون مقراً للدعوة للدين الجديد ، ثم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب ، ودخل مع هؤلاء مجموعة من العبيد والفقراء منهم ياسر وابنه عمار وزوجته سمية ، وبلال ، وخباب بن الأرت[1] .

عقبات فى طريق الدعوة :

وعند ما تقدمت دعوة الإسلام فى مكة فى طريقها السلمى الهادىء قابلها كبار قريش بالعدوان والقسوة البالغة ، التى شملت السب والضرب والتدبير للقتل ، والقتل فعلا لبعض أتباع الإسلام وقد صوّر القرآن الكريم بعض هذا العدوان بقوله :

ــ تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، فى جيدها حبل من مسد[2] .

ــ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا نبتغى الجاهلية[3] .

---

(١) ابن هشام جـ١ ص ١٦٥ .
(٢) سورة المسد .
(٣) سورة القصص الآية ٥٥ .

ـ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك[1] .

واتجهت قوى الشر بمكة إلى تعذيب المسلمين حتى اضطر كثير منهم إلى ترك ديارهم وثرواتهم والهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم من الظلم والعدوان ، وتجمعت هذه القوى ضد بنى هاشم من أسلم منهم ومن لم يسلم ، لأن بنى هاشم دافعوا عن محمد وعملوا على حمايته ، وراح الرسول يدعو إلى الإسلام خارج مكة ، واتخذ وجهته الأولى نحو الطائف فدعا فريقا من أشرافها إلى وحدانية الله ، ولكنهم لم يستجيبوا له ، ولم يردوه رداً كريماً ، بل أغروا به أحداثهم وسفهاءهم يسبونه ويصيحون به ويرمونه بالحجارة[2] .

واتجه الرسول بدعوته نحو يثرب وساعدته عوامل متعددة[3] على نجاح الدعوة بهذه المدينة العظيمة ، ففتح الله صدور أهليها لهذا الدين ، وعاماً بعد عام ، ولقاء بعد لقاء ، انتشر دين الله فى يثرب بين الأوس والخزرج ، وبدأ المسلمون يهاجرون إلى يثرب ، وتوقعت قريش أن يلحق محمد بأصحابه وأتباعه فى هذه المدينة ،

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠ . (٢) ابن هشام ج ١ ص ٢٦٠

(٣) انظر هذه العوامل بكتاب « التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية » للمؤلف ج ١ ص ١٣١ — ١٣٣ من الطبعة الرابعة .

فقررت القضاء عليه ، ولكن هجرته تمت على كل حال .

ولم تشمل الهجرة كل المؤمنين ، بل إن قريشاً منعت كثيرين من المسلمين من الهجرة وحبستهم بمكة ، وأنزلت بهم صوراً من الإيذاء والتعذيب ، وكان فيهم عبد الله بن العباس وأمه وأخوه الفضل .

ثلاثة عشر عاماً مرت على المسلمين بمكة قبل الهجرة ، ذاقوا فيها ألواناً من الاضطهاد والتعذيب ، لا لشيء إلا أنهم أسلموا ، وكانوا كلما همّت نفوسهم برد الظلم أو تطلعت إلى إيقاف العدوان وإلى القصاص من المعتدين ردهم رسول الله عن ذلك ودعاهم إلى الصبر وهتف بهم فى حزم : لم أومر بقتال ، لم أومر بقتال . والتزم المسلمون بالسياسة التى اتبعها محمد لنفسه ، فإنه طالما أوذى وبخاصة من أبى جهل ، ولكنه لم يرد قط على مكروه أبى جهل ، وهكذا نجد أن الناس لم يخضعوا للسيف ليسلموا ، ولكنهم تعرضوا للسيف لأنهم أسلموا واحتملوا السيف فى سبيل الله [١] .

وعندما انتقل الإسلام إلى المدينة واجه عدواً جديداً ذلك هو اليهود ، وقد كان هؤلاء يعارضون كل حركة دينية لا تنبع من

---

(١) عباس العقاد : عبقرية محمد ص ٤٨

مجتمعهم ، ولهذا كانوا يتتبعون بحنق دعوة الإسلام منذ مطلعها ، وكانوا يظنون أن قريشاً ستقضى على هذه الدعوة فى مهدها ، ولكن الدعوة اقتحمت عليهم مدينتهم فواجهوها بالعدوان من أول يوم ، على الرغم من معاهدة التعاون التى عقدها الرسول معهم ، ضامنة الحرية الدينية للجميع ، والتعاون لخير المجتمع الجديد[(١)]، ويصوّر القرآن الكريم عدوانهم بمجموعة كبيرة من الآيات نورد منها :

— ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين ، بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين ، وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ، قالوا : نؤمن بما أنزل علينا ، ويكفرون بما وراءه ، وهو الحق مصدقاً لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين[(٢)] .

— ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق[(٣)] .

---

(١) انظر هذه الوثيقة فى كتاب الأموال لأبى عبيد ص ٢٠٢ — ٢٠٥ وانظر ألوان غدرهم وعدوانهم بالجزء الأول من «التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية» للمؤلف .

(٢) سورة البقرة الآيات ٨٩ — ٩١ (٣) سورة البقرة الآية ١٠٩

— الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون [١] .

— يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم ، إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم [٢] .

وبالإضافة إلى اليهود أدركت قريش أن يثرب ـ وقد أصبحت مركزاً جديداً للمسلمين ـ ستهدد تجارتهم الصاعدة إلى الشام والهابطة منه ، وفى ذلك قضاء على اقتصادهم ، بالإضافة إلى مايحققه من القضاء على وثنيتهم وأديانهم ، فقررت قريش أن تهاجم ذلك المعقل الجديد وتقضى عليه .

وهكذا عند مطلع الهجرة نجد أمامنا صوراً تلاحقت : عدوان من قريش على المسلمين الذين تخلفوا بمكة وتحفز تقوم به قريش ويتهيأ له اليهود على المسلمين بالمدينة ، وظهر بوضوح أن حرية التدين اتجاه لا تعرفه وثنية قريش ، ولا تقبله طوائف اليهود ، وكان لا بد من سياسة جديدة ينتهجها الإسلام غير سياسة المسالمة الطويلة التى كانت دستور الحياة بمكة ، وقوائم هذه السياسة الجديدة

---

(١) سورة الأنفال الآية ٥٦ (٢) سورة المائدة الآية ١١

الدفاع عن النفس ضد أى عدوان ، والدفاع عن المظلومين المغلوبين على أمرهم بمكة ، والدفاع عن حرية الأديان ، وجاءت بهذا الدستور الجديد سورُ القرآن الكريم التى نزلت بالمدينة بعد أن خلت السور المكية من أى إذن بالقتال .

السُّوَر المدنية والإذن بالجهاد

وضعت السورُ المدنيةُ صورةَ المجتمع الإسلامى الجديد الذى بدأ يظهر فى المدينة ؛ فحفلت بالتشريع فى مختلف الشئون ، وكان الجهاد أحد الأمور التى عُنِيَت بها هذه السور حتى يعيش المجتمع فى أمن ، وحتى يؤدى رسالته على مر التاريخ فى حرية وانطلاق ، ولنتجه إلى هذه السور الكريمة لنرى خطة الجهاد التى رسمتها ، والسورُ المدنية هى كما يلى بترتيب نزولها :

١ ــ البقرة
٢ ــ الأنفال
٣ ــ آل عمران
٤ ــ الأحزاب
٥ ــ الممتحنة
٦ ــ النساء
٧ ــ الزلزلة
٨ ــ الحديد
٩ ــ القتال (محمد)
١٠ ــ الرعد
١١ ــ الرحمن
١٢ ــ الإنسان
١٣ ــ الطلاق
١٤ ــ البينة
١٥ ــ الحشر
١٦ ــ النور
١٧ ــ الحج
١٨ ــ المنافقون

١٩ — المجادلة	٢٠ — الحجرات
٢١ — التحريم	٢٢ — التغابن
٢٣ — الصف	٢٤ — الجمعة
٢٥ — الفتح	٢٦ — المائدة
٢٧ — التوبة	٢٨ — النصر

ونظرة عامة فى هذه السور ترينا أنها حفلت بالحديث عن الجهاد ، ونبهت على الاستعداد له ، وبينت أسبابه ومقاصده وآدابه ،وأهابت بالصلابة والتضحية،ونفّرت من الفرار ،وأفاضت ببيان جزاء المجاهدين والشهداء ، وذكرت أحكام الأسرى والغنائم ، وقد وضعت سورة البقرة وهى أولى السور المدنية أسس الجهاد ونُظُمَه ، فقد وردت بها مجموعة من الآيات ألمّت بالمسائل الكبرى المتصلة بالجهاد :

ففيها حديث عن السلم وأنه هو الأمل الذى ينبغى أن تنعم به البشرية إذا خلت الدنيا من أسباب الفتن والمكاره، يقول الله تعالى « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة »[1] .

وفيها بيانٌ لقسوة القتال وصعوبته ، ولكنه مع ذلك يصبح

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٨

ضروريا أحيانا ، ويجلب فى ركابه الحرية والخير ، أما السلم الذى تحبه النفس فربما جلب الخزى والعار والخسران ، قال تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم »(١) .

ويتصل بهذا المعنى آية أخرى وردت بنفس السورة تحذر من أن يلقى المسلمون بأنفسهم فى التهلكة ، وذلك بحرصهم على سلامة النفس فلا يشتركون فى الجهاد ، وحرصهم على سلامة المال فلا يقدمونه لشراء السلاح وعون الجند ، وستكون نتيجةُ هذا الحرص الهلاكَ وفقدانَ الأنفس والأموال جميعا على يد العدو ، ولو فُقدت بعض الأموال وبعض الأنفس فى ساحة الشرف لضُمنت السلامة لباقى الأموال والأنفس ، قال تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ،واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين ، وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة »(٢)

وممن تأدب بهذا الأدب السامى صلاح الدين الأيوبى الذى قيل له : لماذا لا تدخر بعض المال لأولادك وذويك ؟ فأجاب : إن بقيت الديار

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٦ .

(٢) نفس السورة الآيتان ١٩٤ — ١٩٥ وانظر تفسير الآيتين فى القرطبى والفخر الرازى .

لنا ، فلنا كل ما فيها، وإن ضاعت منا ضاع ما يملكه كل فرد واستولى عليه العدو[1] ومات هذا السلطان العملاق ولم يخلف إلا سبعة وأربعين درهما وقطعة واحدة من الذهب[2] ولكنه بهذه السياسة وهذا الإيثار حفظ البلاد من أعدائها ، وأنزل بهم أكبر الهزائم ، واسترد منهم أكثر ما كانوا قد سلبوه من أرض الإسلام ، ثم سجل لنفسه ذكراً خالداً دونه كل مال وكل ثراء[3] .

وفى سورة البقرة كذلك وضع خطة الجهاد فى الإسلام ، بأن يكون دفاعا ورداً لعدوان ، وبيان بأن ما تسببه الفتن من تدمير أقسى مما تسببه الحروب من جراح ، قال تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين ، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم »[4] .

---

(١) شاهنشاه بن أيوب : ذيل النوادر ص ٣١٠ .

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٨ ص ٩ .

(٣) انظر سيرته فى الجزء الخامس من « التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية » المؤلف .

(٤) سورة البقرة الآيات ١٩٠ — ١٩٢ .

وقد ظل المسلمون يتبعون سياسة الدفاع المحض حتى جاءت غزوة الأحزاب ، ولم يخرج المسلمون فيها لملاقاة العدو ، واكتفوا بالوقوف موقف المدافع من داخل المدينة ، ولكن المسلمين عانوا في هذه الغزوة ألوانا من العناء والجوع من أثر الحصار الطويل ، ولذلك نجد المسلمين يغيّرون من خططهم الحربية ، فلا يكتفون بالدفاع المحض ، لأن الاكتفاء به أوشك أن يقضى على المسلمين ، ولكنهم في الوقت نفسه لم يستطيعوا أن يلجئوا لسياسة الهجوم والعدوان فتلك سياسة لم يؤذن بها ، ولذلك اتخذوا سبيلا وسطاً هو ما يسميه العسكريون « الهجوم الدفاعى » أى أن يهجموا — مدافعين — على تكتلات الأعداء التى تستعد للزحف على المسلمين ، وكانت هذه هى خطة المسلمين بعد ذلك فيما قاموا به من حروب[1] .

وفى سورة البقرة تكرار لجملة كبيرة الأهمية وهى « فى سبيل الله » وقد ارتبطت هذه الجملة بالقتال « وقاتلوا فى سبيل الله »[2] وارتبطت بالإنفاق على المعركة « وأنفقوا فى سبيل الله[3] » وسنرى

(١) التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية للمؤلف ج ١ ص ٢٠١ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٠ والآية ٢٤٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٥

هذا المعنى متكرراً فى آيات كثيرة من القرآن الكريم ، وقد حددت أحاديث الرسول مكانة الذى يحارب أو ينفق على الحرب لإعلاء كلمة الله،وحددت مكانة الذى يفعل ذلك يلتمس الغنيمة أو الصيت والذكر ، وفيما يلى بعض الأحاديث عن ذلك :

— عن أبى موسى قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ويقاتل رياء ، فأى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله .

— عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من غازية تغزو فى سبيل الله فيصيبون غنيمة إلا تعجلوا ثلثى أجرهم ، ويبقى لهم الثلث فى الآخرة ، وإن لم يصيبوا غنيمة تمّ لهم أجرهم عند الله.

— وعن أبى أمامة قال . جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : أرأيت لو أن رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ، ماذا له ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شىء له ، فأعادها الرجل ثلاث مرات والرسول يقول : لا شىء له . ثم قال : إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابْتُغِىَ به وجهه[1] .

---

(١) الشوكانى : نيل الأوطار جـ ٧ ص ١١٩

وفى سورة البقرة حثٌّ للمسلمين على حماية حرية الأديان ، وعلى مناهضة كل من يريد أن يحرم الناسَ هذه الحرية ، ويفرض عليهم ديناً معيناً ، وفى السورة كذلك بيانٌ أن غير المسلمين يتبعون سياسة مغايرة ، هى سياسة محاربةِ حرية التدين ومحاولةِ منع الناس من الدخول فى الإسلام ، وردّ الذين دخلوه عن الاستمرار فيه ، قال تعالى :

— وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين[1] .

— لا إكراه فى الدين[2] .

— ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا[3].

وفى سورة البقرة حث على التضحية والفداء وامتداح لأولئك الذين يهَبُون أنفسهم لمرضاة الله وإعلاء كلمة الحق ، قال تعالى « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد »[4] .

وهكذا فى هذه الدراسة الموجزة عن السورة المدنيّة الأولى

(١) سورة البقرة الآية ١٩٣ (٢) نفس السورة الآية ٢٥٦

(٣) نفس السورة الآية ٢١٧ (٤) نفس السورة الآية ٢٠٧

« سورة البقرة » رأينا سياسة الإسلام عن الجهاد تتضح ، وخطته تظهر بكل جلاء ، ولسنا نستطيع فى هذا البحث الموجز أن نسير مع السور المدنية الأخرى واحدة واحدة نبرز اتجاهات كل سورة فى موضوع الجهاد ، ولذلك نفضل أن نعرّف تعريفاً قصيراً بالسور المدنية التى اهتمت اهتماماً خاصاً بالحرب والجهاد ، ثم نعود إلى دراسة موضوع الجهاد من مجموع هذه السور .

وأول مايطالعنا بعد سورة البقرة سورة الأنفال ، وهى السورة المدنية الثانية ، وكثير من آياتها نزلت بمناسبة غزوة بدر والصراع المرير الأول الذى خاضه المسلمون ضد قوة أكثر منهم عدداً وعدة ، وكيف كان الله معهم ، وكيف نصرهم مع قلة العدد وضعف العتاد ، وفى السورة آيات كثيرة تحث على الاستعداد وعلى الثبات والتعاون لمواجهة العدو ، وحديث طويل عن الأسرى والغنائم ، وهى بذلك ثروة كبيرة لمن أراد أن يدرس موضوع الجهاد بشرح وتفصيل .

وفى سورة آل عمران وهى السورة المدنيّة الثالثة سبع آيات تتصل بنظريات الجهاد [1] ، وفى بعضها حث لأهل الكتاب أن يعودوا إلى الرشد ويبعدوا عن تعدد الآلهة ، وهتاف بهم أن يجيئوا

---

(١) هناك آيات أخرى فى سورة آل عمران غير هذه الآيات السبعة تتحدث عن غزوة أحد .

إلى نقطة اللقاء مع المسلمين وهى عبادة الإله الواحد [١] ، وتهتم هذه السورة كذلك بحث المسلمين على أن يكونوا منهم أمة واحدة معتصمة بحبل الله، لا تعرف الفرقة ولا الخصام، وألا يوالوا الكفار وأعداء الإسلام [٢] ، وتهتم السورة بإبراز المآل الطيب لمن يموتون شهداء فى سبيل الله [٣] .

أما السورة المدنية الرابعة سورة الأحزاب فقد نزلت كثير من آياتها مرتبطة بالغزوة المسماة باسمها ، ولا عجب أن تكون كالأنفال كثيرة الحديث عن الجهاد والحرب الدينية .

ومن بين السور المدنية سورة القتال « محمد » وبها مجموعة من الآيات تتحدث عن الحرب والصرامة فيها ، وفيها وعد من الله بأن ينصر الذين ينصرون دينه ويثبت أقدامهم ، وفيها كذلك حديث عن شروط الهدنة والصلح .

ومن بين السور المدنية سورة الحشر، وأكثر آياتها تتحدث عن غدر بنى النضير وما آل له أمرهم ، كما أن بها الآيات الكريمة التى احتج بها عمر رضى الله عنه أمام من حكّمهم من الأنصار ليجعل

---

(١) سورة آل عمران الآية ٦٤ .

(٢) نفس السورة الآية ٢٨ و ١٠٣

(٣) سورة آل عمران الآيات ١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ١٦٩ .

أرض السواد وأرض الشام ومصر أرض خراج لا أرض غنيمة[1].

ومن بين السور المدنية سورة الحج التى تبرز بها الأسباب التى من أجلها منح الله المسلمين الإذن للدفاع عن أنفسهم قال تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله[2] » .

ونقفز إلى سورة الصف وهى سورة اتخذت اسمها من آية كريمة ترسم للمسلمين صورة التكتل الحازم أمام العدو ، قال تعالى « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص[3] ».

ونصل إلى سورة الفتح وهى التى نزلت عقب صلح الحديبية ، وقد سمى ذلك الصلح فتحاً لأن الدعوة عندما سارت فى سلام بعد هذا الصلح فتحت لها الآفاق وانهال عليها المسلمون ، وكان الناس يخافون قريشاً قبل هذا الصلح ، فلا يستطيعون إعلان إسلامهم ، ويقول المؤرخون إن من دخل الإسلام فى السنتين اللتين تلتا صلح الحديبية أكثر ممن دخلوه فى المدة التى تقرب من عشرين عاماً ، والتى تبدأ من مطلع الإسلام وتمتد حتى ذلك الصلح ، وهذا يدل

---

(١) سورة الحشر الآيات ٧ ـ ١٠ وانظر « السياسة والاقتصاد فى التفكير الإسلامى » للمؤلف ص ٢٤١ وما بعدها

(٢) سورة الحج الآيتان ٣٨ ـ ٣٩ (٣) سورة الصف الآية الرابعة .

على أن انتشار الإسلام تبع السلم ولم يتبع الحرب[1] .

ولنختم عرضنا للسور المدنية بالكلام عن سورة التوبة ، وهي آخر سورة مدنية فيما عدا سورة النصر ، وفي سورة التوبة أحاديث طويلة عن غزوتي حنين وتبوك .

وهكذا نجد السور المدنية ترسم فكرة الجهاد الإسلامية وتضعها في صورة واضحة ، وتتمشى مع الغزوات غزوة غزوة ، منذ غزوة بدر وهي أولى الغزوات إلى غزوة تبوك وهي آخرها ، ومن أجل هذا فالباحث يجد في هـــذه السور ثروة واسعة تنير له الطريق ، وتمده بأدق العناصر عن موضوع الجهاد الذي احتاجه المسلمون منـذ الهجرة ، ولا يزالون يحتاجونه حتى كتابة هذه السطور ، وسيظلون يحتاجونه أبدا ليحموا أنفسهم وأهليهم وأوطانهم من عناصر الشر ما بقيت هذه الحياة . فلنسر في دراسة الجهاد في ظل هذه الآيات البينات نفصل ما عمّمْنا ونشرح ما أوجزنا :

---

(١) انظر تفاصيل هذا الموضوع في « التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية » للمؤلف جـ ١ ص ١٧٠ وما بعدها

القرآن الكريم
ومشكلات ما قبل المعركة

الإسلام والسلام

جاءت دعوة الإسلام للبشرية دعوة هدى ويسر ، كما أشرنا من قبل؛ اتجهت إلى الناس عامة تدعوهم لعبادة الله الواحد الأحد، واتخذت البيان والمنطق والحكمة وسائل لها لتوصيل هذه الدعوة ، قال تعالى :

— يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ، وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين(1).

— يا أيها الناس إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (2).

وخص القرآن الكريم أهل الكتاب بدعوة فيها تقرب وتعاطف قال تعالى :

— قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم

---

(1) سورة البقرة الآيات ٢١-٢٣ . (2) سورة فاطر الآيتان ٥ — ٦ .

ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون [١].

— ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون [٢] .

وكانت مهمة الرسول ومهمة أتباعه من بعده توصيل الدعوة للناس وإقامة البرهان على صحتها ، وللناس بعد ذلك أن يختاروا دون إرغام أو إكراه ، قال تعالى :

— ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة [٣] .

— فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر [٤] .

— فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب [٥].

— لكم دينكم ولى دينى [٦].

ولكن الطغاة هبوا فى وجه الدعوة يقاومونها ويريدون القضاء عليها كما ذكرنا ، واشترك فى ذلك الوثنيون من قريش ،

---

(١) سورة آل عمران الآية ٦٤ . (٢) سورة العنكبوت الآية ٤٦ .

(٣) سورة النحل الآية ١٢٥ . (٤) سورة الغاشية الآيتان ٢١و٢٢ .

(٥) سورة الرعد الآية ٤٢ . (٦) سورة الكافرون الآية السادسة .

ويهود الجزيرة العربية ، وقادة الباطل فى إمبراطوريات الشمال ، وحاول الرسول أن يوقف هذا العدوان بالحسنى ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح ، وكان الرسول فى محاولته هذه يتبع فلسفة الإسلام التى تدعو إلى السلم وتنكر العدوان وتكره إراقة الدماء ، وتدعو إلى التعاون مع المسالمين أياً كانت أديانهم ، قال تعالى :

— يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (١) .

— وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله (٢) .

— لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين (٣) .

— فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا (٤) .

وقد اتبع المسلمون فى جميع العصور فلسفة الإسلام ، فلم يلجئوا للسيف إلا إذا كان ذلك ضرورياً ، وينبغى لنا هنا أن نبرز بعض النقاط التاريخية التى تزيل بعض الأخطاء الشائعة وتثبت أن المسلمين

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٨   (٢) سورة الأنفال الآية ٦١

(٣) سورة الممتحنة الآية الثامنة   (٤) سورة النساء الآية ٩٠

في جميع العصور اتبعوا سياسة المسالمة مالم يكن هناك عدوان عليهم ، وأن انتشار الإسلام ارتبط بالسلم ولم يرتبط بالحرب .

أولا ـ بدأ تحرش الروم بالمسلمين فى حياة الرسول ، فإن الرسول أرسل ـ اتباعاً لسياسة الدعوة السلمية ـ كتاب دعوة إلى ملك الغساسنة مع الحارس بن عمير الأزدى ، ولكن هؤلاء قتلوا رسول محمد وسخروا بمن أرسله ، وهددوا بالزحف على الجزيرة العربية والقضاء على الدعوة الناشئة ، فأعد لهم الرسول جيشاً بقيادة زيد بن حارثة ولكن الروم انضموا إلى حلفائهم الغساسنة ، وأوقعوا بالمسلمين هزيمة فى غزوة مؤتة [1] ، وهكذا بدأ الصراع بين المسلمين والروم .

وكما تحرش الروم بالمسلمين تحرش بهم الفرس أيضاً ، فالتاريخ يروى لنا أن القبائل الموالية للفرس كانت توالى الإغارة على أرض المسلمين ، ولم تكن حرب المسلمين مع الفرس إلا امتداداً للدفاع الذى قام به المسلمون ليحموا أنفسهم وذويهم من هؤلاء المغيرين .

وكانت الشعوب الخاضعة لكسرى فارس وقيصر الروم تئن تحت الظلم الصارخ الذى تُعـَامَل به ، ففى فارس كان الملوك يعدون آلهة ، وفى الروم كان الاستعمار قاسياً على البـلاد الخاضعة

(١) النووى : تهذيب الأسماء : القسم الأول ج ١ ص ٢٦٥

للامبراطورية ، وأكبر دليل على ما كانت تعانيه الشعوب من ضيق أنها لم تكن لها حماسة فى الحروب ، وأن القادة الطغاة كانوا يدركون ذلك ، حتى لقد حدث فى المعارك بين المسلمين وبين الفرس والروم أن اضطر القائد الفارسى أن يقيد جنوده بالسلاسل حتى لا يفروا ، وقد سميت هذه الموقعة موقعة ذات السلاسل ، وحدث مثل ذلك مع الروم فى موقعة اليرموك [١] .

ثانيا ـ بعد ما توقفت الحروب ضد قادة الضلال فى فارس والروم تركت للشعوب الحرية الكاملة فى اعتناق الإسلام أو عدم اعتناقه ، ويقرر التاريخ أن انتشار الإسلام فى هذه الأقطار اتضح فى عهد عمر بن عبد العزيز ، وهو عهد أغْمِدَ السيف واتخذ الدعوة والمحاجة دستوراً له ، ولذلك يسمى هذا العهد « عهد إسلام الشعوب المفتوحة » ويقرر Kirk [٢] أن غالبية أهل الشام ومصر السفلى فى القرن التاسع الميلادى كانت لا تزال مسيحية على الرغم من أن الإسلام كان قد مضى عليه فى هذه البقاع أكثر من قرنين ، ومثل ذلك ما يقرره [٣] Roland Oliver من أن الإسلام لم يتخذ

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤١

(٢) A Short History of the Middle East p. 36

(٣) Ashort History of Africa p. 77

طريقه خلف الصحراء إلا بعد انحلال دولته الكبرى فى المغرب ، وكانت وسيلة الإسلام لهذه البقاع هى الثقافة والفكر والدعوة .

ثالثا ـ حارب صلاح الدين الأيوبى الصليبيين حرباً لاهوادة فيها ، وأذاقهم مُرّ الكأس لعدوانهم على الأرض الإسلامية ، واستعاد أكثر هذه الأرض ، ودمّر قلاع العدو وقلّم أظفاره ، فلما وضعت الحرب أوزارها راح الفرنجة الذين سقطت بلادهم يطرقون أبواب المدن التى لاتزال فى أيدى إخوانهم الصليبيين ، ولكن هذه المدن أقفلت أبوابها فى وجوههم ، وحينئذ تجلت فى صلاح الدين شهامة الإسلام ، ففتح لهم بلاده على أن يعيشوا فيها فى ظل الإسلام وينعموا بما ضمنه الإسلام من حقوق لغير المسلمين فى المجتمع الإسلامى (١) .

وفى كلمة قصيرة : يسالم الإسلام من سالمه ، فمن اعتدى على الإسلام أو على المسلمين فإن الإسلام يدفع أتباعه إلى نضال صارم يردون العدوان ويقضون على شوكة المعتدى الأثيم ، كما سنرى ذلك فيما يلى .

---

(١) Stanley Lane-Poole :Egypt in the Middle Ages p. 169

الاستعداد للجهاد

ملئت الحياة بالأشواك ، واتجهت نفوس الكثيرين إلى العدوان والغدر ، والإسلام دين الواقع ، لقد سالم وسالم ، ولكن العدوان استفحل واشتد ، وتجمعت قوى الشر ضده في حياة الرسول وبعد الرسول ، ففي الغزوات تعاونت قريش واليهود والأحابيش وتهامة وغطفان وبنو مرة وأشجع على حرب المسلمين ، وفي عهد أبي بكر تعاون المرتدون ومدعو النبوة ضد المسلمين ، وانضم لهؤلاء جند من الفرس والروم ، وفي العصور الوسطى تجمعت كل دول أوربا وزحفت على أرض الإسلام فيما يسمى بالحروب الصليبية ، وفي العصر الحديث استعمرت أوربا كل بلاد الإسلام ، وعندما تركتها عسكريا كانت قد وضعت الأساس للون آخر من الاستعمار عن طريق اسرائيل التي غرستها في قلب العالم الإسلامي ، وعن طريق الضغط الاقتصادي والتشويه الثقافي والاجتماعي ، وأكثر من ذلك ماتذكره المراجع الأوربية من أن تعاون اليهود والمسيحيين كان دائماً واضحا ضد المسلمين ، وقد اتخذ في العصور الوسطى الديانة المسيحية واجهة له ، ويتخذ الآن اليهودية واجهة جديدة [1] .

---

(١) انظر كتاب اليهودية من سلسلة مقارنة الأديان للمؤلف ص ٧٢ و ٩٢

من أجل هذا كان لابد من المواجهة الجريئة ، ومن أجل هذا حث القرآن الكريم على الاستعداد للحرب لحماية الإسلام فى جميع العصور وجميع الأنحاء .

موالاة المسلمين ومعاداة الأعداء :

وأول خطوة فى الاستعداد للمواجهة والحرب موالاة الأولياء ومعاداة الأعداء ، فقد رأينا أن أعداء الإسلام تجمعوا ضد الإسلام ، فمن اللازم أولا أن يتجمع المسلمون ويوالى بعضهم بعضا ، وثانياً ألا تكون هناك موالاة بين المسلمين وبين أعدائهم ، وعن موالاة المسلمين بعضهم لبعض يقول الله تعالى :

— والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض(١) .

— إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض(٢) .

وتجمُّع المسلمين شيء طبيعى فى مواجهة التجمع الذى اتخذ أساسه معارضة الإسلام ومحاربة المسلمين ، ولا شك أن الخروج على هذا التجمع يعتبر ثغْرَة فى الإيمان ونقصاً ينبغى تداركه ، ونقصد بالخروج على هذا التجمع عدم الاستجابة للتعاون مع المؤمنين ، أما إذا وصل الخروج إلى موالاة الأعداء فذلك خروج على قانون

(١) سورة التوبة الآية ٧١ (٢) سورة الأنفال الآية ٧٢

الإسلام ، أو ارتداد عن الإسلام نفسه ، ولنستمع إلى قوله تعالى فى ذلك :

— لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء ، إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه، وإلى الله المصير[1] .

— يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدى القوم الظالمين[2] .

— يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون[3] .

— لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم[4] .

— يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق[5].

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٨ . (٢) سورة المائدة الآية ٥١ .
(٣) سورة التوبة الآية ٢٣ . (٤) سورة المجادلة الآية ٢٢
(٥) سورة المجادلة الآية الأولى .

وسار المسلمون فى عصور الإسلام الزاهرة فى ضوء هذه التعليمات ، فتنكروا للوشائج القربى وصلات النسب عندما تعارضت مع الدين وموالاة المسلمين ، حتى كان الواحد منهم يقف يصارع آله ويضرب ذوى رحمه لأن الدين عنده أصبح أقوى من كل رحم وأسمى من كل نسب ، ففى غزوة بدر وقف أبو عبيدة بن الجراح يحارب مع المسلمين ووقف أبوه فى جيش قريش وحاول الأب أن يضرب ابنه مرة ومرة ، وكان الابن يفر من الضربات ويتفاداها ، ولكن عندما استحكمت الحلقات ووجد أبو عبيدة نفسه بين إحدى اثنتين إما يضرب أباه وإما أن يخذل عقيدته ، آثر الأولى وأغمد سيفه فى أبيه فقتله ، وتساقطت دموعه ، لا حزنا على أبيه ، ولكن إشفاقا عليه لموته على الكفر ، وفى نهاية الغزوة كان من رأى عمر أن يقتل الأسرى ، وصاح بالرسول أعطنى آلى لأقتلهم ، وأسلم العباس لأخيه حمزة ليقتله ، ولولا مزيد من الرحمة أبداه الرسول لكان ما أراد عمر[1] .

الاستعداد بالقوة :

رأينا أن موالاة الأولياء ومعاداة الأعداء تعد الخطوة الأولى للاستعداد للجهاد ، وتجيء بعد ذلك الخطوة الثانية التى وضحتها الآية

---

(١) انظر قصة أسرى بدر فى كتاب المجتمع الإسلامى للمؤلف ص ١١٨ .

الكريمة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون[1] »

والناظر في هذه الآية الكريمة يجد صوراً رائعة من الحكمة ومن سياسة الحرب وأول ما نلحظه أن الاستعداد في هذه الآية شمل ناحيتين إحداهما القوة ، وقد جاءت هكذا مجملة ، والثانية رباط الخيل وهى تقابل الاستعدادات الحربية فى عهدنا الحديث ، أما حديث القوة فليس مقصوراً على القوة الحسية فقط ، وإنما يمتد كذلك إلى القوى المعنوية ، قوة العلم وقوة النفس والقلب ، فكل هذه الطاقات يجب أن تحشد عند المسلمين لتؤدى دورها فى حراسة الأهداف الإسلامية ، ونلحظ بعد ذلك شيئاً مهما فى الآية هو أن قوة النفس وقوة العدة قد يسببان السلامة للمسلمين بما يبعثانه من رهبة فى قلوب الأعداء ، والقرآن الكريم بذلك يقرر بوضوح تلك القاعدة التى يقول بها القادة العسكريون فى العهد الحاضر ، وهى أن الاستعداد للحرب قد يمنع الحرب ويحقق السلام ، وفى الآية كذلك إبراز لحقيقة ينبغى ألا تخفى على المسلمين ، وهى أن أعداءكم كثيرون منهم من يعلن عداوته ومنهم

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٠

من يكتمها ، وتختم الآية بوعد من الله أن يوفى من أنفقوا فى سبيل الله جزاء ما قدموا .

ونعود للحديث عن القوة لنقرر أن القرآن الكريم لا يهتم بالكم بقدر ما يهتم بالكيف ، فإعداد جماعة ولو صغيرة إعداداً شاملا على النحو الذى وصفناه والذى سنضفه فى هذا البحث ، أعظم من الكثرة التى ينقصها الإعداد النفسى والبدنى والفكرى ، وفى ذلك يقول الله تعالى « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين »[1] ، وقد روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : إنى لأخشى أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال: لا ، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ومعنا آية كريمة نرد بها على المسلم الضعيف الذى يلجأ للاتكال ، ولا يعمل على تقوية نفسه ، تلك هى قوله تعالى « لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله[2] » ومعنى هذا أن العدو يهاب القوة أكثر مما يهاب الله لأنه لا يعرف الله ، ولأن القوة شىء مادى يراه ويحدث فى نفسه الاضطراب والقلق ، ولكن الله تعالى لا يراه إلا العاقلون المؤمنون .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٩ . (٢) سورة الحشر الآية ١٣ .

ولنختم هذه القضية بآية ذكرناها من قبل هي قوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة[1] » وقد ربطها أكثر المفسرين بالحرب وقالوا إن التهلكة هنا معناها البخل بالقليل من الأنفس والأموال ويترتب على هذا البخل ، التهلكةُ العامة وضياع كل الأنفس والأموال ، فالأمة التي لا تستعد ولا تضحي ببعض مالها وبعض رجالها تجلب الذلة والفناء لكل الرجال وكل الأموال .

(١) سورة البقرة الآية ١٩٥ .

الجهاد المشروع وأسبابه

عند حديثنا عن آيات الجهاد فى سورة البقرة شرحنا ما اتصل بهذه الآيات من أسباب الجهاد ، ونريد هنا أن نعرض لأسباب الجهاد كلها ، وأن نوضح مشروعية الجهاد إيضاحاً شاملا .

والظلم والعدوان طبيعة البشرية منذ حلت البشرية على الأرض. وقد وضح القرآن الكريم طبيعة هذا الظلم بقوله : « إن الإنسان لظلوم كفار[1] » وقوله عن الإنسان : « إنه كان ظلوماً جهولا[2] » وجاءت الأديان تهذب هذه الطبيعة وتعمل على تقويمها وتدعو الناس للتعاون والمسالمة ، وتضع القوانين التى تضمن العدالة ، ولكن أكثر الناس نفروا من الأديان ، والذين اعتنقوها حرفوها لتلائم طباعهم ، وجاء الإسلام وحفظ الله كتابه الكريم من التحريف قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[3] » وفى هذا القانون الخالد تنظيم دقيق للجهاد ، وتحديد لأسبابه وأهدافه ، ومحاولة لجعل الجهاد وسيلة سلام إذا عجز السلام المحض أن يمنح البشرية الأمن والسلامة ، فعلى مرّ التاريخ لم يسعد قوم

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٤ .　　(٢) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .

(٣) سورة الحجر الآية التاسعة .

إلا بعد أن دافعوا عن أنفسهم وأثبتوا لمن حولهم أنهم يستطيعون حماية الذمار والدفاع عن الدار ، حتى لقد ارتبط عز الأقوام بجهادهم ، ولا يمكن أن يبدأ عز قبل أن تكون الدماء والكفاح أهم دعائمه ، ولنسر مع كتاب الله الكريم لنرى الأسس التى رسمها لهذا الموضوع الخطير .

وأول ما يُعنى به الفكر الإسلامى ألا تكون هناك حرب قبل أن تسبقها دعوة سلام ، فقدثبت أن الرسول عليه السلام كان إذا بعث سرية قال لأميرها : إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى الإسلام ، فإن أبوا فادعهم لإعطاء الجزية ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ، وإذا كانت الدعوة للإسلام نوعاً ضرورياً للتعريف به فى العهد الإسلامى الأول ، فإن أغلب الباحثين يرون أن تسبق الدعوةُ الجهادَ فى عهدنا الحاضر أيضاً ، ولكنها دعوة للعدالة وتعهد للتعايش السلمى وعدم الجور على المسلمين ، فإن أبى المعتدون فالجهاد حَكَمٌ بين المسلمين وبينهم [١] ، ولم يكن الجهاد قط وسيلة لفرض الإسلام ، ومن الجهالة أن يُدَّعىَ ذلك ، لسبب واضح تماماً هو أن العقائد لا تستقر بالإكراه .

---

(١) الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ص ٤٩ .

ويتحتم على المسلمين أن يخوضوا المعارك ويجاهدوا عند حدوث سبب من الأسباب الآتية :

أولا : عند الدفاع عن المسلمين ضد أى عدوان يقع عليهم ، قال تعالى :

— وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[١] .

— إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون[٢] :

— فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً[٣] .

— أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير[٤] .

— فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم[٥] .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٠ . (٢) سورة الممتحنة الآية التاسعة .
(٣) سورة النساء الآية ٩١ . (٤) سورة الحج الآية ٣٧ .
(٥) سورة البقرة الآية ١٩٤ .

هذا وقد اعتاد الفقهاء المسلمون أن يفرقوا فى الدفاع بين الحق والواجب فيرون أن الدفاع واجب عن النفس والعِـرْض والحيوان والودائع من الأموال ، ففى كل هذا يصبح الدفاع واجباً ، ويلتزم المسلم بأن يدافع عن نفسه أو عما سُلب منه ، ولكن إذا كان العدوان على مال مملوك للمعتدَى عليه فإن الدفاع يصبح حقاً للإنسان يجوز أن يقوم به ويجوز أن يدعه ، لأن هذا المال ملكه وله أن يتركه لمن سلبه ، ولكن هذا فى حالة العدوان الفردى أى عدوان مسلم على مسلم ، أما فى حالة عدوان دولة غير مسلمة على دولة مسلمة فإن الدفاع يصبح واجباً فى كل حال[1] لأن المدافعين من رجال القوات المسلحة يكونون أمناء على ما فى أيديهم من العتاد الحربى بكل أنواعه ومن أسلحة البر والبحر وهذه كلها ليست مملوكة لهم وإنما هى مملوكة للدولة وهم أمناء عليها ، وكذلك هم مكلفون بحراسة أرض الوطن ، فالدفاع واجب عليهم حتى آخر رمق[2] .

ثانيا : عند الدفاع عن المظلومين من المسلمين الذين يعيشون تحت سلطان دولة جائرة غير مسلمة ، فإذا اعتُدِى على هؤلاء كان

---

(١) انظر بداية المجتهد لابن رشد والمحلى لابن حزم .

(٢) المستشار أحمد موافى : القانون الإسلامى للحرب « منبر الإسلام » رجب سنة ١٣٧٨ هـ .

على المسلمين فى كل البقاع أن يهبوا لنجدتهم وأن يرفعوا الضيم عنهم ، قال تعالى : « وما لكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيراً [١] » . ولا يجوز للمسلمين أن يدعوا أبناء دينهم يعيشون فى ضيم ينزله بهم عدو الإسلام ، والآية واضحة الدلالة على أن القرآن يستثير همم النفوس الكبيرة لرد هذا العدوان الآثم .

— ثالثاً : عند الاضطهاد الدينى وعدم حرية التدين قال تعالى:

— وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين[٢] .

— وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ، وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير[٣] .

وهكذا وضحت هذه الآيات أن الجهاد واجب فى هذه الحال حتى تصبح حرية الأديان حقيقة لا تشوبها شائبة ، وهكذا يتحقق أن الحروب التى خاضها المسلمون لم تكن لحمل الناس على الإسلام

---

(١) سورة النساء الآية ٧٥ . (٢) سورة البقرة الآية ١٩٣ .
(٣) سورة الأنفال الآيتان ٣٩ — ٤٠ .

وإنما لوقف إكراه الناس على عدم الدخول فيه ، وأوضح دليل لذلك أن المسلمين سمحوا لغير الإسلام بالبقاء فى البلاد التى سيطروا عليها ، ويقول ابن تيمية : وإذا كان أصل القتال المشروع وهو الجهاد بقصد أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هى العليا ، فمن منع ذلك قوتل باتفاق المسلمين[1] .

وعلى هذا فينبغى أن ينشط المسلمون فى كل زمان ومكان للدعوة للإسلام ، فإن مُنعوا من ذلك أو مُنع من يريد أن يعتنق الإسلام من اعتناقه ، كان لزاماً أن تردّ القوة هذا المنع ، وأن يُفسَح السبيل للدعوة ولحرية التدين .

وقد سبق أن بينا عند الكلام عن سورة البقرة أن الحروب الإسلامية ينبغى أن تكون فى سبيل الله وإلا يقصد بها الحصول على غنيمة أو رفع الذكر بالشجاعة ، ونضيف هنا أن مراجعة كتاب الله تثبت أن التعبير (فى سبيل الله) يرد مرتبطاً بالجهاد والقتال اثنتين وثلاثين مرة ، ولا يكاد أمرٌ بالقتال أو الجهاد يخلو من هذا التعبير ، مما يوضح تلك الحقيقة التى أشرنا إليها من قبل ، وفى كتاب الله كذلك آيات تؤدى نفس المعنى مثل قوله تعالى :

(١) السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ص ١٨ .

« وجاهدوا فى الله حق جهاده[1] » . بل إن القرآن الكريم يضمن نصر الله لمن قاتل فى سبيله ، مخلصاً وجهه إليه ، قال تعالى :

— ولينصرن الله من ينصره[2] .

— وكان حقا علينا نصر المؤمنين[3] .

— يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم[4] .

وعلى هذا فإن المسلمين إذا هزموا فى معركة ينبغى أن يراجعوا أنفسهم ، ليعرفوا أخطاءهم التى حرمتهم النصر ، ومنعت عنهم عون الله .

وننتقل إلى نقطة أخرى فى حديثنا عن الجهاد المشروع فى الإسلام ، هى أن هذه الحروب ينبغى أن تكون حروباً فيها نبل وعفة وكرم . فلا يقتل فيها إلا من يقاتل بنفسه أو بتدبيره ، أما الرجال الذين لا يشتركون فى المعركة بطريق مباشر أو غير مباشر ، فلا تمتد لهم يد بأذى ، والآيات التى أوردناها توضح هذا المعنى مثل « قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » .

---

(١) سورة الحج الآية ٧٨ . (٢) سورة الحج الآية ٤٠

(٣) سورة الروم الآية ٤٧ . (٤) سورة محمد الآية السابعة .

أما الآيات التى فيها إطلاق القتال للكفار كقوله تعالى : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم[1] » وقوله : « يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة[2] » وكذلك الأحاديث المماثلة كقوله صلى الله عليكم وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإن قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، فقد قرر العلماء أن المراد بالمشركين والكفار هناهم المحاربون والمعتدون[3] ، ويرى ابن حزم[4] أنه يجوز فى غير القاتلين الوجهان أى أن يُقتَلوا أو أن يُستبقوا ، وقد بنى رأيه على أن هؤلاء يقدمون العون أرادوا أو لم يريدوا للمقاتلين وأن القضاء عليهم إضعاف لشوكة العدو ، وبناء على هذا التعليل يصبح رأى ابن حزم جديراً بالقبول وبخاصة إذا ظهر عون هؤلاء للمقاتلين ولو بطريق غير مباشر .

---

(١) سورة التوبة الآية الخامسة .　　　(٢) سورة التوبة الآية ١٢٣ .

(٣) الأستاذ الشيخ محمود شلتوت : الإسلام والعلاقات الدولية ص ٣٧ — ٣٨ وانظر بداية المجتهد لابن رشد ج ١ ص ٣٦٤ — ٣٦٥ .

(٤) المحلى ج ٧ ص ٢٩٦ — ٢٩٧ .

القرآن الكريم
ومشكلات المعركة

ذكرنا من قبل أن الإستعداد للحرب قد يمنع الحرب، ولكن المعركة قد تقع على أى حال ، ومن هنا لزم أن نتحدث حديثاً مفصلا عن نقاط متعددة تتصل بالمعركة وميدان القتال :

حكم الجهاد

إن الآية الكريمة التى أوردناها آنفاً عند الحديث عن سورة البقرة وهى «كتب عليكم القتال وهو كره لكم» تبين بوضوح ضرورة القتال لحماية المجتمع الإسلامى وأن الله سبحانه وتعالى قد فرضه على الناس لصالح الناس، وهناك آيات أخرى تزيد الموضوع وضوحاً وتبين أبعاد هذا الواجب ، وهى قوله تعالى «ياأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ، إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير . . . . انفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون[1]» وقبل أن نترك هذه الآيات الكريمة يجدر بنا أن

---

(١) سورة التوبة الآيات ٤٠ ــ ٤٣

نتعرف على أسباب نزولها وعلى موجز لأقوال المفسرين عنها ، لندرك أسباب التثاقل من جهة وعقوبته من جهة أخرى ، والذى يجب على المسلمين أن يفعلوه من جهة ثالثة ، يقول المفسرون إن هذه الآيات نزلت فى غزوة تبوك ، وكان المسلمون قد أمروا بالخروج لهذه الغزوة بعد رجوعهم من غزوة حنين والطائف ، وكان الوقت وقت عُسْرَة فى المال والزاد ، وكان وقت قيظ شديد ، ثم كانت الشُقة بعيدة، والعدو أكثر عدداً وعدة ، وكل هذا جعل بعض المسلمين يتثاقلون ولا يستجيبون للغزوة بحماسة ، فنزلت هذه الآيات توبخ وتهدد وتنذر ، مؤكدة أن هذه الدواعى وأكثر منها ينبغى ألا تحول دون الإستجابة لولى الأمر لمواجهة أعداء الإسلام ، وتقرر هذه الآيات بضع نقاط جديرة بأن نبرزها ، وهى أولا أن الارتباط بالمادة وبالدار والولد وعدم خوض المعارك حُبّاً لها يعود بالوبال عليها جميعاً ، ثم إنه إن ضمن نعيم الدنيا فترة من الزمن فإنه يحرم نعيم الخلود الذى لا يقاس به نعيم الدنيا ولا ما فيها من متع ، وثانياً تهدد الآية الثانية المتثاقلين تهديداً قاسياً ، يشمل فى الدنيا أن يُستبدل بهم غيرهم ، ويشمل العذاب الأليم فى الآخرة ، وثالثاً تأمر الآية الأخيرة أمراً واضحاً بعد هذا العتاب والتهديد فتقرر أن الاستجابة للنفير بنشاط

وحماسة أمر واجب مهما كانت المشقة أو الأعذار ، ويروى أن ابن أم مكتوم سأل الرسول عقب هذه الآيه : هل علىَّ أن أنفر ؟ قال : نعم . ثم نزل قوله تعالى « ليس على الأعمى حرج ...[1] » وتقرر هذه الآية كذلك أن الجهاد ينبغى أن يكون بالنفس والمال كليهما أو أحدهما، وأن هذا الجهاد خير للمسلمين فى دنياهم وآخرتهم[2]

وقد عرض الفقهاء لحكم الجهاد وفصَّلوا القول فيه ، وتكاد آراء المذاهب كلها تجمع على النقاط التالية :

— الجهاد فرض كفاية بمعنى أنه إذا قام به من يكفى لحمل عبئه سقط الفرض عن الباقين ، لقوله تعالى « وما كان المؤمنين لينفروا كافة[3] » ولم يخرج الرسول قط للغزو إلا وترك بعض الناس ، ويجب الغزو على الرجال البالغين القادرين الذين يجدون ما يحاربون به لقوله تعالى « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج[4] » وقوله « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج »[5] والأجر الله

---

(١) سورة الفتح الآية ١٧

(٢) انظر الفخر الرازى والقرطبي وسواهما من المفسرين .

(٣) سورة التوبة الآية ١٢٢ (٤) سورة التوبة الآية ٩١

(٥) سورة الفتح الآية ١٧

جاهد ولمن عمل ليساعد المجاهد ، فقد روى عن الرسول قوله : ليَنبعثْ من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما[1] .

— ويصبح الجهاد فرض عين فى الأحوال الآتية :

١ — إذا عين ولى الأمر أناساً للخروج ، فيجب عليهم أن يستجيبوا ولا يغنى عنهم سواهم ، يقول ابن حزم : ومن أمره الأمير بالجهاد إلى دار الحرب ففرض عليه أن يطيعه فى ذلك ، لقوله صلى الله عليه وسلم : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإذا استُنْفرتم فانفروا[2] .

٢ — إذا دخل العدو أرض المسلمين ، فإنه حينئذ يتعين على الجميع أن يهبوا لملاقاته ودفعه لا فرق بين رجل وامرأة ، ولا بين خادم ومخدوم ، ويرتبط هذا الواجب بأهل المحلة التى نزلها العدو أولا ، ويمتد لمن جاورهم إذا احتاجوا لعونه ، وللمسلمين كافة إذا لزم الأمر ، فتخرج المرأة بدون إذن زوجها والعبد بدون إذن سيده ، والولد من غير إذن والديه والمدين بدون إذن دائنه[3] . ومثل هذا ما ورد فى « بُلغة السالك لأقرب المسالك » فقد ورد النص التالى :

---

(١) ابن رشد : بداية المجتهد ج ١ ص ٣٩١

(٢) المحلى : ج ٧ ص ٢٩١

(٣) مجمع الأنهر فى شرح ملتقى الأبحر .

ويتعين الجهاد بهجوم العدو على محلة قوم ، فيتعين عليهم وعلى من بقربهم إن عجزوا ، ويتعين على المرأة والرقيق والمدين مع هذه الحالة ولو منعهم الزوج والسيد والدائن ، ولا يعفى من الجهاد إلا من له أبوان شيخان يضيعان لو تركهما هذا الإبن ، فقد روى معاوية بن جاهمة قال : أتيت رسول الله فقلت له : يا رسول الله ، إنى كنت أردت الجهاد معك أبتغى بذلك وجه الله والدار الآخرة ولكن أمى . . . فقاطعه الرسول قائلا : ويحك ! أحية أمك ؟ قلت : نعم . قال : ارجع فبرّها .[1]

(١) بلغة السالك لأقرب المسالك الجزء الثانى : باب الجهاد

فضل الجهاد والاستشهاد

في الحديث عن فضل الجهاد يمدنا القرآن الكريم بأروع المعانى ، قال تعالى :

ـ فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما(١) .

ـ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون، وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم(٢) .

ـ يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة فى جنات

---

(٢) سورة النساء الآية ٧٤

(١) سورة التوبة الآية ١١١

عدن ذلك هو الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين(١) .

وهـــذه الآيات واضحة الدلالة على فضل الجهاد فى الدنيا والآخرة ، ولا بأس أن نقتبس فقرات قليلة من بعض المفسرين تعليقاً على هذه الآيات الكريمة ، فعن الآية الأولى منها يقول المفسرون إن القرآن الكريم يحث الناس على أن يستبدلوا الخالد بالفانى ، وفى الآية تنبيه على أن المجاهد ينبغى أن يثبت فى المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو يعز الدين بالظفر والغلبة .

وعن الآية الثانية يقول المفسرون إن الآية تمثيل للمثوبة العظمى التى منحهم الله إياها وهى الجنة ، بسبب بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيل الله وفى الآية كذلك تأكيد لذلك بأنه وعد من الله ، وأنه ليس كالله فى الوفاء بعهده ، وتختم الآية بالتبشير بالفوز العظيم الذى يجىء نتيجة لهذه الصفقة الرابحة .

وعن مجموعة الآيات التى اقتبسناها من سورة الصف تتكرر نفس المعانى ونفس الجزاء الأوفى الذى أعد للمجاهدين ، ولكن هذه الآيات تضيف جديداً إلى وعد الله ، فهو الوعد بنعمة أخرى

(١) سورة الصف الآيات ١٠ — ١٣

عاجلة محبوبة للناس وهى النصر فى الدنيا والأمن والسلامة ، وفى ذلك بشرى عظيمة لهم .

وفى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثروة ضخمة عند الحديث عن فضل الجهاد ، ومن هذه الأحاديث نقتبس ما يلى :

- لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها .

- من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرّمه الله على النار .

- من قاتل فى سبيل الله فُوَاق ناقة[1] وجبت له الجنة .

- إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف .

- رباط يوم فى سبيل الله خير مما طلعت عليه الشمس ، والروحة يروحها العبد فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها .

- من قاتل فى سبيل الله وجبت له الجنة ، ومن جُرح جرحاً فى سبيل الله أو قتل جاءت جراحه يوم القيامة لونها الزعفران وريحها المسك .

- من جهّز غازياً فى سبيل الله كان له مثل أجره ، من غير أن يَنْقص من أجر الغازى شيئاً .

- رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، ومن مات فى سبيل الله جرى عليه ثواب عمله الذى كان يعمله .

---

(١) فواق ناقة : مدة ما بين الحلبتين .

- عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله .

وروى عن أحمد بن حنبل قوله : لا أعلم شيئاً من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد، ولاغرو أن كان الجهاد أفضل الأعمال بعد الفرائض لأنه استعداد للتضحية بأغلى ما يملكه الإنسان وهو النفس ، ثم إن أعمال البر كلها لا تتم إلا بعد السلامة من العدو وحماية البيضة ، فالجهاد حراسة للسور الضخم الذى يحمى المجتمع ، ولو انهار هذا السور انهار كل شىء ، ولم يعد هناك سبيل لجوانب الخير واتجاهات البر .

ذلك هو فضل الجهاد على العموم ، فإن نال المجاهد الشهادة فهناك مزيد من الحديث عنه وعن ثوابه ، يقول الله تعالى عنه « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين[١] » وهكذا فصلت هذه الآيات هذا الموضوع تفصيلا واضحاً ، فذكرت أن الشهداء أحياء وليسوا أمواتا ، وأنهم ينعمون بما لا ينعم به

(١) سورة آل عمران الآيات ١٦٩-١٧١

ولا ببعضه أحياء هذه الدنيا ، ويقول صلى الله عليه وسلم : من سأل الله الشهادة بصدق من قلبه ، بلّغه الله منازل الشهداء ـ وإن مات على فراشه .

وقد كان المسلمون الأوائل يسعون للجهاد لينالوا إحدى الحسنيين ، النصر أو الشهادة ، وكثيرون منهم كانوا يرون الشهادة أثمن وأفضل ، وفى إحدى الغزوات عاد عبد الله بن عمر يقول لأبيه : إن أخاك سأل الله الشهادة فمنحه إياها ، وجهدت أن تساق إلىّ فلم أنلها . ويروى التاريخ حادثة ترتبط بالآية التى أوردناها آنفاً وهى قوله تعالى «إن الله اشترى من المؤمنين. .» فإن عمير بن الحمام كان يحارب قريشاً مع المسلمين فى غزوة بدر ، فأحس بالجوع ، فاعتزل المعركة ليأكل ، وأخرج من جرابه بلحات يهدىء بها حدة الجوع ، فسمع وهو يأكل قارئاً يتلو هذه الآية ، فتاق عمير للقاء ربه والتمتع بالجنة التى عرضها السموات والأرض ، ونظر إلى البلح الذى وضعه أمامه وقال : كيف يشغلنى هذا البلح عن لقاء الله ؟ لئن حييت حتى آكله إنها لحياة طويلة ، وألقى بلحه عنه ، وأسرع إلى المعركة يخوض غمارها خوض من لا يخاف ، فأبلى فيها بلاء حسنا ، وسقط فى النهاية وراح للقاء ربه كما تمنى ، بعد أن قضى بسيفه على الكثيرين [1] .

---

(١) ابن القيم : زاد المعاد جـ ٢ ص ٨٨

وفى الصراع ضد مسيلمة الكذاب تراجع مسليمة ودخل حديقة عالية الأسوار قوية الأبواب واعتصم بها ، وامتنعت أسوارها على المسلمين من جند خالد بن الوليد ، ووقف خلف الأسوار أتباع مسيلمة يدافعون عن الحديقة ، فتقدم البراء بن مالك وصرخ فيمن حوله من الجند : احملونى على هذا الترس برماحكم ، واقذفوا بى داخل الحديقة ، فإما أن أهلك وإما أن أفتح لكم باسم الله بابها فتتدفقون منه إلى ملاقاة أعدائكم ، وحملوه على الترس ، وألقوا به فى الحديقة وراح يعالج فتح الباب ويدافع عن نفسه فى الوقت نفسه ضد الأعداء الذين تكالبوا عليه من أتباع مسيلمة ، واستطاع بعد جهد أن يفتح الباب فتدفق منه المسلمون ودارت بالحديقة معركة طاحنة سقط فيها الآلاف من الفريقين حتى سميت حديقة الموت[1]

ولاشك أن الذى يحرص على الشهادة وينالها ينال معها الخلود لنفسه ، فالنفس فانية على كل حال ، قال تعالى « أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة[2] » ومن شرف الإنسان أن يموت مجاهداً ليضمن لنفسه حسن الذكر فى الدنيا وحسن الأجر فى الآخرة ، وقد مات سيف الله المسلول خالد بن الوليد على فراشه ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٤٤

(٢) سورة النساء الآية ٧٨

بعد أن خاض عدداً كبيراً من المعارك ، وقد تحدث فى رقدته الأخيرة بأنه يموت على فراشه كما يموت البعير ، مع أنه ليس فى جسمه مكان خلا من طعنة رمح أو ضربة سيف ويختم حديثه بقوله: فلا نامت أعين الجبناء ، ونحن فى أزمتنا للبطولة والشجاعة نهتف بهذا النداء : لا نامت أعين الجبناء .

ونختتم هذا الموضوع بإيراد بعض أحاديث الرسول التى تصف النقص الذى يلحق بالرجل الجبان الذى لا يجاهد ، والبخيل الذى لا يبذل المال للجهاد ، وسترينا هذه الأحاديث أن مثل هذا الرجل لن ينجو من الإيقاع به فى الدنيا وسيكون فيه ثُلمة فى الآخرة ، قال صلى الله عليه وسلم :

— من لم يغز ، أو لم يجهز غازيا ، أو لم يخلف غازيا فى أهله بخير ، أصابه الله تعالى بقارعة قبل يوم القيامة .

— من لقى الله و ليس له أثر فى سبيل الله ، لقى الله وفيه ثُلمة (نقصان)

أخلاق المجاهد

إن من أبرز تعاليم الإسلام الحربية تنظيم أخلاق المجاهد قائداً كان أو جنديا ، وفى قمة هذه الأخلاق الشجاعة والصبر ، وذلك يبدو واضحا من تكليف القرآن للمسلمين فى مطلع الإسلام أن يناضل الواحد منهم عشرة ، وأن يتغلب عليهم بالصبر ، وعندما خفف الله عنهم أصبح على المسلم أن يصارع اثنين وأن يصبر ليتغلب عليهما ، استمع إلى قوله تعالى « ياأيها النبى حرّض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين[1] » وقد ضرب المسلمون الأول وفى قمتهم الرسول أعلى المثل فى التخلق بالشجاعة والصبر ، وقد روى عن على بن أبى طالب قوله : إنا كنا إذا اشتد اليأس واحمرت الحدقة اتّقينا برسول الله ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ويقول عبد الله بن عمر : مارأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود

(١) سورة الأنفال الآيتان ٦٥ — ٦٦

ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الصحابة يرون في الرسول قدوة لهم ، وقد عبر عن ذلك سعد بن معاذ بقوله : والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلق بنا عدونا غداً ، إنا لصبرٌ فى الحرب صدق فى اللقاء ، ولعل الله يريك منا ماتقرُّ به عينك .

ومن الأخلاق التى يراها الإسلام ضرورية للجندى الخشونة والتقشف ، ومن الواضح أن اللين والترف يفسدان حياة الجندى ويقضيان على نخوته ، والتاريخ يذكرنا بالأبطال الميامين الذين وقفوا خلف الخندق فى غزوة الأحزاب يدافعون عن الديار وقد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع ، وقد رأينا من قبل ذلك المحارب البطل الذى انسل من المعركة بدافع الجوع ليأكل بضع بلحات هى كل زاده ، وقد أثبت أبطال الإسلام فى الجيل الأول بطولة نادرة لأن نشأتهم كانت نشأة صلابة وخشونة ، أنهم كانوا كما وصفتهم رسل المقوقس إليه : ليس لأحد منهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، جلوسهم على التراب وأميرهم كواحد منهم .

وفى العهود الإسلامية المتأخرة نجد الانكشارية يحققون نصراً مبيناً فى مختلف الأرجاء ، لأن تربيتهم كانت خشنة شديدة ،

فلما ذاقوا اللين وانغمسوا فى متع العيش انهاروا وأصبحوا وبالا على أنفسهم وبلادهم ، وكان لابد من القضاء عليهم لتبدأ الدولة من جديد .

ومن الأخلاق الضرورية للمحارب الطاعة ، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الخلق أدق تعبير ، قال تعالى « طاعة وقول معروف ، فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم [(١)] » ومن هذه الأخلاق التعاون الكامل ، ومن لك بتعبير لصورة هذا التعاون مثل قوله تعالى « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص [(٢)] »

تلك هى أبرز الصفات التى يلزم أن يتخلق بها المجاهد قائداً كان أو جندياً ، ولكنّ هناك صفات خاصةً بالقائد ، ذلك الذى وضعت فى يده مقاليد الأمور وأرواح الناس من جند يدفع بهم إلى المعركة ، ومن شعب التزم القائد بالدفاع عنه وحراسته ، وهذا يحتم على القائد أن يكون أهلا لهذه المسئولية الكبرى ، لأن غلطة واحدة منه تجرّ على الجند والشعب ألواناً من الكوارث ، وقد كتب الهرثمى فى الباب الثالث من مخطوطته عن سياسة الحروب أبرز الصفات اللازمة للرئيس ، قال : أفضل الرؤساء فى الحرب أيمنهم

---

(١) سورة محمد الآية ٢١ (٢) سورة الصف الآية الرابعة

نقيبة ، وأكملهم عقلا ، وأطولهم تجربة ، وأبعدهم صوتاً ، وأبصرهم بتدبير الحرب ومواضعها ، ومواضع الفرص والحيل والمكايد ، وأحسنهم تعبئة لأصحابه فى أحوال التعبئة ، وتسييرهم أوان المسير ، وإنزالهم أوان النزول ، وإدخال الأمن عليهم ، وإدخال الخوف على عدوهم ، مع طلب السلامة لنفسه وأصحابه من العدو ، وأن يكون حسن السيرة عفيفاً صارماً ، حازماً ، متيقظاً ، شجاعاً ، سخياً[1].

وقد تعرض الهرثمى لتقوى الله فى الحرب ، وأفرد لها الباب الأول من مخطوطه ، ومما جاء فيه قوله : ينبغى لصاحب الحرب أن يجعل رأس سلاحه فى حربه تقوى الله وحده ، وكثرةَ ذكره ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، والفزع إليه ، ومسألته التأييد والنصر ، والسلامة والظفر[2]

(١) الهرثمى : مختصر من سياسة الحروب ص ٦ ــ ٧ مخطوط بالجامعة العربية
(٢) المرجع السابق : الورقة ٤

الاسلام وسياسة الحرب

هناك مبدءان مهمان يبرزان لمن يدرس الجهاد فى الإسلام ، وهما يرتفعان بمستوى الفكر الإسلامى فى الجهاد إلى أرقى ما وصل له الفكر الحديث ، وهذان المبدءان هما :

١ - التعرف على أخبار العدو .

٢ - استعمال الخديعة فى الحروب .

وعن الموضوع الأول يروى أنس أن الرسول قبيل غزوة بدر بعث بسبس بن بشر عيناً ينقل له أخبار عير أبى سفيان ، كما أرسل طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسسان له الأخبار ، وكان له جواسيس بمكة يأتونه بأخبارها ومنهم عمه العباس وبشير بن سفيان العتكى[١] ، ولما نزل قريباً من بدر خرج هو بنفسه ومعه أبو بكر يستطلعان الأخبار متنكرين[٢] .

وفى غزوة الأحزاب يروى جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنفر حوله من يأتينى بخبر القوم ؟ فقال الزبير :

---

(١) عبد الحى الكتانى : التراتيب الإدارية ج ١ ص ٣٦ و ٦٢ - ٦٣

(٢) ابن هشام : ج ١ ص ٦٥

أنا . ثم قال الرسول : من يأتيني بخبر القوم ؟ قال الزبير : أنا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، لكل نبي حواري وحواريّ الزبير . ويتضح من ذلك أن العـــين الذى ينقل الأخبار يكون من قمة الأصفياء المخلصين للقائد ، كما يجب أن يمتاز بالدهاء والمهارة .

وهكذا كانت عادته عليه السلام فى كل غزواته أن يكثر من العيون التى تأتى له بالأنباء حتى أنه أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود ، وكتابتهم فتعلمها ليستطيع بهذا الطريق أن يتعرف أخبار اليهود [١] .

وقد وضع الرسول منهاجاً دقيقاً لعيونه وجواسيسه ، فعلمهم ألا يُحْدِث أحدهم حدثاً ينبه الناس إليه ، أو أن يقتل أحداً إلا إذا أُجبر على ذلك، لأن فوز الجاسوس بالمعلومات النافعة أهم من قتل عدد من الأعداء ، ففى يوم الخندق أرسل حذيفة بن اليمان عيناً على قريش ونهاه أن يحدث شيئاً حتى يعود إليه ، وأرسل عبد الله الأسلمى ليقيم فى هوازن متنكراً حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم ففعل [٢] ، وكان القائد يجزل المكافأة لمن يأتى له بالأخبار النافعة حتى وإن كانت كريهة لدى المسلمين ، فالدقة والصدق كانا من أهم مايلتزم العين به .

---

(١) تاريخ الطبرى : جـ٣ ص ٤٢ (٢) أبو يوسف : الخراج ص ٧٢

وفى العصور الوسطى قلّ اهتمام المسلمين بالتعرف على أخبار أعدائهم ، ولكن العدو كان حريصاً على أن يتعرف على أخبار المسلمين ، وكان من نتائج ذلك أن هُزم المسلمون فى الحرب الصليبية الأولى ، وعملوا بعد ذلك على تلافى ذلك النقص ، فبذلوا جهداً كبيراً لاستقصاء أخبار الصليبيين ، بحيث لاتفوتهم كبيرة ولا صغيرة من أحوالهم ، فلم يعد يخلو مكان من صاحب خبر وبريد ، حتى تعرّف المسلمون على أخبار الأقاصى والأدانى وكان من نتيجة ذلك أن تحققت انتصارات المسلمين على الصليبيين فيما بعد [1] .

ونجىء لموضوع الخديعة فى الحروب ، وفى هذا الموضوع نجد مجموعة كبيرة من الأحاديث نورد منها :

— عن كعب بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا غزوة ورّى بغيرها .

— عن أنس قال أن رسول الله قبيل غزوة بدر هتف بأصحابه : إن لنا طَلِبَةً فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا .

— عن جابر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : الحرب خَدْعَةٌ .

---

(١) محمد كرد على : الإسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣٠٦

— عن أم كلثوم بنت عقبة قالت : لم أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يرخص فى شيء من الكذب مما تقول الناس إلا فى الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل لامرأته .

ويقول الشوكانى فى التعليق على هذه الأحاديث : إن قوله صلى الله عليه وسلم « ورّى » معناها « ستر » ويستعمل فى إظهار شيء مع إرادة غيره ، وهو فى الحرب أخذ العدو على غرّة . وأما قوله « طلبة » فمعناها « حاجة » وهو إيهام للمقصود ويستدل به على أن الإمام يكتم أمره وقوله « الحرب خدعة » معناها الأمر باستعمال الحيلة ما أمكن ، وأن الإنسان إذا خدع مرة واحدة لم تقبل عثرته ، واستعمال اسم المرة لبيان أن المسلمين ينبغى أن يقوموا بالخداع ولو مرة واحدة . وأن يحذروا أن يخدعهم الكفار ولو مرة واحدة ، فلا ينبغى التهاون بذلك لما ينشأ عنه من المفسدة ، وفى الحديث تحريض على أخذ الحذر فى الحرب والندب إلى خداع الكفار ، وأن من لم يتيقظ لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه ، وينقل الشوكانى [1] عن النووى قوله : واتفقوا على جواز خداع الكفار فى الحرب كيفما أمكن إلا أن يكون فيه نقض عهد أو مخالفة أمان فلا يجوز ، وينقل عن ابن العربى قوله : الخداع

---

(١) الشوكانى : نيل الأوطار : ج ٧ ص ١٣٧ .

فى الحرب يقع بالتعريض وبالكمين ونحو ذلك ، وفى الحديث الإشارة إلى استعمال الرأى فى الحرب بل الاحتياج إليه ، فذلك آكد من الشجاعة ، وينقل عن ابن المنير قوله : معنى الحرب خدعة أى الحرب الجيدة لصاحبها ، الكاملة فى مقصودها ، إنما هى المخادعة لا المواجهة وذلك لخطر المواجهة ولحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر .

وسار الرسول فى حروبه على هذه السيرة فنراه فى غزوة بدر يأمر أصحابه بأن يقطعوا الأجراس من أعناق الإبل حتى يكون سيرهم خفية ؛ وفى غزوة الفتح كتم الرسول أمره حتى عن زوجته عائشة وأبيها الصديق ، وقال لعائشة جهزينى ولا تعلمى بذلك أحداً[1] ، ولما سار بأصحابه سأله بعضهم عن وجهته ، فأجاب بقوله حيث شاء الله[2] ، ويقول الهرثمى : وإذا استطعت أن تحترس فى كتمان سرك فى حربك من تقاتل فافعل ، فإن فى ذلك إمضاء تدبيرك وقطع مكيدة من يكيدك ، واكفف لسانك عن فلتة كل منطق ، ينكشف به ما تضمر من أمرك ، أو تخفيه من سرك ، واعلم أنه قد يستدل بلحن المنطق على مصون السر ومكنون الضمير ،

---

(١) ابن هشام : ج ٢ ص ١٧٨ (٢) الطبرى : ج ٣ ص ١٠٥

ولا تستهن فى إظهار سرك بصغير لصغره، ولا بأعجمى لعجمته، فربّ سر مضمون قد اطلعوا عليه وأذاعوه [١].

وبالاضافة إلى هذين المبدأين اللذين وصفناهما بأنهما أرقى ماوصلت له البشرية فى العصر الحديث، هناك مبادىء أخرى لم تستطع البشرية أن تحققها أو أن تقرب منها حتى الآن، ومن هذه المبادىء أن الحرب ضرورة لتحقيق عدالة ولا يجوز أن تكون للانتقام ولا أن يصحبها أو يتبعها أى نوع من أنواع الحنق والتشفى، يقول الله تعالى «ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله، إن الله شديد العقاب» [٢] وفى تفسير هذه الآية يقول النسفى : ولا يحملنكم شدة بغضكم لقوم أن تنتقموا منهم، وتعاونوا على البر والتقوى أى على العفو والإغضاء ومجانبة الهوى، ولا تتعاونوا على الإثم والعدوان للتشفى والانتقام، واتقوا الله إن الله شديد العقاب فانتقامه أشد.

والجهاد فى الإسلام يرمى إلى كسب المعركة، وعندما يكسب

---

(١) مختصر « فى سياسة الحروب » ورقة ١١

(٢) سورة المائدة الآية الثانية

المسلمون المعركة ينبغى أن يعملوا على تخفيف حدة العداوة وعلى محاولة كسب قلوب الأعداء بطريق أو بآخر ، ففى غزوة حنين أسر المسلمون عدداً كبيراً من هوازن ، ولكن وفداً من كبار هوازن جاءوا إلى الرسول فى « الجعرانة » مسلمين تائبين وطلبوا أن يرد إليهم الرسول أموالهم وأهليهم ، فنزل لهم الرسول عن حقه وحق بنى عبد المطلب فى المال والسبى ، وحبب الرسول للمسلمين التنازل عن حقوقهم فاستجابوا له وتنازلوا عن حقوقهم فى الأموال والسبايا ، بل إن الرسول أعلن أن مالك بن عوف الذى قاد جيوش هوازن وثقيف فى هذه المعركة لو جاء مسلماً لعفا عنه ورد إليه أهله وماله ، فخرج مالك من الطائف وقصد الرسول وأعلن إسلامه واسترد ماله وذويه [1] وتكرر مثل هذا العمل فى غزوة بنى المصطلق وفى غيرها ، وهو يدل دلالة واضحة أن المسلمين لا يرمون إلى استعباد أحد أو إذلاله ، وحسبهم أن يضمنوا لأنفسهم السلامة وأن يضمنوا حرية الأديان وحرية الدعوة لها .

والجهاد فى الإسلام لا يمتد للشيوخ والنساء والأطفال ورجال الدين ، بشرط ألا يشترك هؤلاء فى المعركة اشتراكا فعلياً حتى وإن

---

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٢٠٦ — ٢٠٧

اشترك أهلوهم ، كما أنه لايجوز فيه تعذيب الأحياء أو قذفهم ، ولا يجوز التمثيل بأجساد الموتى ، وقد أخذ الباحثون ذلك من قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هوأقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون [١] » ويقول البيضاوى فى تفسير هذه الآية : لايحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب مالا يحل كمُثْلة ، وقذف ، وقتل نساء وصبية ، ونقض عهد ، تشفياً بما فى قلوبكم . . . . . ومن الأحاديث الواردة فى هذا الموضوع قوله عليه السلام :

— عن ابن عمر قال : وُجدت امرأة مقتولة فى بعض المغازى فنهى الرسول عن قتل النساء والصبيان .

— وعن رياح بن ربيع أنه خرج مع الرسول فى غزوة غزاها وكان على مقدمته خالد بن الوليد ، فمر الرسول على إمرأة مقتولة فقال : ما كانت هذه لتقاتل ، ثم التفت إلى أحد أصحابه فقال له : الحَق بخالد فقل له لاتقتلوا امرأة ولا ذرية ولا عسيفاً (أجيراً) .

— وعن أنس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : انطلقوا

---

(١) سورة المائدة الآية الثامنة

باسم الله وعلى ملة رسول الله ، لاتقتلوا شيخاً فانياً ولاطفلا صغيراً ولا امرأة ولا تغلُّوا (لا تخونوا) وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين .

وعن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيوشه قال: اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله ، لاتغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا الولدان ، ولا أصحاب الصوامع .

ويقول ابن حزم : ولا يحل قتل نساء الكفار ولا قتل من لم يبلغ منهم إلا أن يقاتل أحد منهم فلا يكون للمسلم منجى منه إلا بقتله فيجوز قتله حينئذ ، فإن أصيبوا في البيات أو في اختلاط الملحمة عن غير قصد فلا حرج في ذلك [1] .

والجهاد في الإسلام لا يمتد إلى قتل الحيوان أو تخريب البيوت أو قطع الأشجار ، مالم تكن هذه وسائل لكسب المعركة كالحيوانات التي تساعد في الحرب أو البيوت والأشجار التي تُتخذ حصوناً ومعاقل ، ويقول ابن رشد [2] : اتفق جمهور الفقهاء على جواز رمى الحصون بالمجانيق سواء كان فيها نساء وذرية أو لم يكن لأن النبي نصب المجانيق على أهل الطائف ، واختلف الفقهاء في

---

(١) المحلى جـ ٧ ص ٢٩٦
(٢) بداية المجتهد جـ ١ ص ٣٩٦

المبانى والحيوانات والنبات فمنهم من أجاز ذلك بقصد أن يكون ذلك إضعافاً لشوكتهم ، وما دام ذلك وسيلة للنصر فإنه جائز ، وقال الشافعى تُحرّق البيوت والشجر إذا كانت لهم معاقل ، ويكره ذلك إذا لم تكن معاقل لهم ، وأما الحيوان فقد أجمعوا على عدم ازهاق روحه إذا لم يكن عوناً مباشراً فى مساعدة العدو . ويروى أن أبا بكر أوصى قواده إلى الشام : لا تقتلوا امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً ، ولا تقطعوا شجراً مثمراً ولا تخربوا عامراً ولا تعقروا شاة أو بعيراً إلا لمأكلة ولا تحرقن نخلا [1] ، ويتجه ابن حزم إلى التفريق بين ما فيه روح وما ليس به روح ، فيحمى ما فيه روح لحرمة الروح ويبيح تدمير ما لا روح فيه ، وهو يقول فى ذلك : وجائز تحريق أشجار المشركين وأطعمتهم وزرعهم ودورهم وهدمها لقوله تعالى « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين [2] » وقوله « ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح [3] » وقد أحرق الرسول نخل بنى النضير ، أما نهى أبى بكر

---

(١) الشوكانى : نيل الأوطار جـ ٧ ص ١٤٩

(٢) سورة الحشر الآية الخامسة

(٣) سورة التوبة الآية ١٢٠

عن ذلك فيحمل على الإباحة إذ أنه كما يجوز التحريق يجوز الإبقاء حسب الأحوال [1]

وقبل أن نتجاوز ذلك إلى مافيه روح نحب أن نضيف أن الرسول فى حصاره للطائف أذن بتحريق الكروم ، وكروم الطائف أغلى مايعتز به أهلها ، فأرسل هؤلاء إلى الرسول يرجونه ألا يحرق الكروم ، ويخيّرونه أن يأخذها لنفسه أو يدعها لله وللرحم [2] ، وقد أحس الرسول من ذلك أن عريكتهم بدأت تلين فاستجاب لتوسلهم وأوقف تحريق الكروم ، ولو أجرينا مقارنة بين تحريق نخل بنى النضير وبين الكف عن تحريق نخل الطائف لاتضح لنا الفرق ، فاليهود لا أمل فى أن يهتدوا ويتقرب المسلمون إلى الله بكل إيذاء وغيظ ينزلونه بهم وبكل ماينالونه منهم على مامرّ فى الآيتين المذكورتين آنفا ، وعلى العكس من ذلك أهل الطائف الذين لانت عريكتهم وسرعان ما أصبحوا من خيرة المسلمين ، وهذا يعنى أن القائد يتدبر الأمر فى حدود الصالح العام .

ونعود لابن حزم لنقتبس رأيه فى إتلاف مافيه روح أو عدم

---

(١) ابن حزم : المحلى ج ٧ ص ٢٩٤

(٢) ابن القيم : زاد المعاد ج ٢ ص ١٩٧

إتلافه ، يقول ابن حزم : ولا يحل عقر شيء من حيوانهم ألبتة ؛
لا إبل ولا بقر ولا غنم ولا خيل ولا دجاج ولا حمام ولا أوز
ولا غير ذلك إلا للأكل فقط حاشا الخنازير جملة وحاشا الخيل
في حال المقاتلة فقط ، سواء أخذها المسلمون أو لم يأخذوها ،
أدركها العدو ولم يقدر المسلمون على منعها أو لم يدركوها ، ومثل
ذلك نحلهم لا يحرق ولا يغرق ولا تحرق خلاياه [1]

---

(١) ابن حزم : المحلى جـ ٧ ص ٢٩٤ — ٢٩٥ .

الثبات والفرار

لانعرف شيئاً حث عليه القرآن الكريم ووعد بالإثابة عليه، كما فعل مع الثبات فى المعركة ، ولا نعرف شيئاً استهجنه القرآن، وذمّه وتوعد فاعله كما فعل مع الفرار والهرب من المعركة ، استمع، إلى قوله تعالى :

— يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون (1) .

— يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (2)

— يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير (3)

— قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلا ، قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ، ولا يجدون لكم من دون الله ولياً ولا نصيرا (4)

---

(1) سورة الأنفال الآية ٤٥ (2) سورة القتال الآية السابعة

(3) سورة الأنفال الآيتان ١٥ — ١٦

(4) سورة الأحزاب الآيتان ١٦ — ١٧

— قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون [١]

وهكذا نجد الآيات الأولى تأمر بالثبات والقوة ، وتحث على أن يتخذ ذكر الله وسيلة لذلك إذا التحم القتال ، وتعد بأن الله سينصر من نصره ويثبت قدمه .

أما الآيات التى ذكرت الفرار فقد استهجنته ومنعت منه ، وتوعدت مرتكبه بغضب الله وبجهنم وسوء المصير ، إلا إذا كان الفرار حيلة من حيل الحرب ، ثم تنزل الآيات إلى مستوى التفكير البشرى فتقرر أن الفرار من الموت لن يجدى فتيلا ، فالموت آت لا محالة وليس هناك من يحمى منه ، وقد ينزل الله ألواناً من السوء فى الدنيا على الفارين وليس هناك من يحميهم من هذا السوء أو يقيهم منه ، ثم بعد ذلك هناك الحساب فى الآخرة عندما يعود البشر إلى عالم الغيب والشهادة .

وجاءت أحاديث الرسول فوضعت الفرار من المعركة ضمن الكبائر العظمى والموبقات السبعة ، قال صلى الله عليه وسلم :

— ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف .

---

(١) سورة الجمعة الآية الثامنة

اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : وماهن يارسول الله؟ قال : الشرك بالله ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات والسحر .

— وعن قتادة أن الرسول قام فى صحابته فذكر لهم أن الجهاد فى سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال ، فقام رجل فقال يارسول الله ، أرأيت إن قتلت فى سبيل الله تكفر عنى خطاياى؟ فقال الرسول : نعم إن قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر .

وهناك رأى يضع مقياساً مادياً للفرار يمثله ابن عباس الذى يقول : لما نزل قوله تعالى « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين [1] » كان على الواحد ألا يفر من عشرة وكان الفرار من عشرة فأقل يعد فراراً ، أما إذا ولى الواحد من أكثر من عشرة فإنه لايعد فراراً ، فلما نزل قوله تعالى « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين . . . [2] » أصبح على الواحد أن يصابر اثنين ، ويقول ابن عباس من فر من اثنين فقد فر ، ومن فر من ثلاثة فلم يفر [3] واعتنق ابن رشد

(١) سورة الأنفال الآية ٦٥

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٦

(٣) الشوكانى : نيل الأوطار ج ٧ ص ١٥٢ — ١٥٣

مذهب ابن عباس فقرر أن العدد الذى لايجوز الفرار منهم هم الضعف (١) .

ولكن أكثر الباحثين لايرون هذا الرأى ويبيحون ملاحظة العدد قبل المعركة ، أما إذا نشب القتال فليكن الثبات لنيل إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة ، وأوضح دليل على ذلك ماحدث فى غزوة حنين عندما فاجأ مالك بن عوف جيش المسلمين من شعاب الجبال وألقى عليهم وابلا من السلاح وهم يسيرون فى الممرات الضيقة التى كانوا يجتازونها قبل أن يستعدوا للقتال ، وفى هول المفاجأة انشمر المسلمون راجعين لايلوى أحد منهم على أحد (٢) ، ولكن الرسول وقف كالطود الشامخ لايعرف الفرار ولا الهرب ، ووقف معه جماعة من المهاجرين والأنصار ، وصمدوا للعدو محاربين حتى عاد لهم الذين دفعتهم المفاجأة للهرب ، ولو كان الفرار من المعركة مباحا لما وقف هؤلاء يواجهون عدداً يزيد عشرات المرات عنهم ويفوقهم استعداداً .

وفى غزوة مؤتة واجه جيش المسلمين وعدده ثلاثة آلاف مقاتل ، جيشاً من الغساسنة والروم عدده مائتا ألف مقاتل ، وقد حارب جيش المسلمين بحماسة بالغة ، وخر قائد الجيش زيد بن حارثة ،

---

(١) بداية المجتهد : ج ١ ص ٣٩٨ . (٢) ابن هشام : ج ٢ ص ٢٨٩

فحمل الراية عبد الله بن أبى رواحة فخر أيضاً ، فحملها بعده جعفر ابن أبى طالب فلحق بصاحبيه ، فحملها خالد بن الوليد الذى أدرك أن فى استمرار المعركة فناء لجيشه دون طائل فانسحب بعملية باهرة إذ أثار الغبار خلف جيشه فأوهم الروم أن مدداً ضخماً جاء من المدينة ، فلم يتبع الرومُ الجيشَ المنسحب (١) ، وكان انسحابه لمزيد من الاستعداد حتى يستطيع يوما أن يقابل الروم مقابلة يثأر فيها لمن خروا فى هذه المعركة ، وربما كان ذلك النوع هو الانسحاب الوحيد الذى يجيزه الفكر الإسلامى فيما نرى ، ومع ذلك فإن المسلمين لم يغفروا لخالد وجيشه أن يفروا من المعركة وقابلوه صارخين « يافرّار ، فررتم فى سبيل الله !! » ولكن الرسول اعتذر عنهم وأمّل فى الخير منهم فى المستقبل ، وقال : ليسوا بالفرار ولكنهم الكرّار إن شاء الله ، ومع هذا الاعتذار من الرسول الكريم فقد بقى الذين انسحبوا مع خالد يحسون بالخجل لهذا الانسحاب ويتوارون عن الوجوه ، روى أن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله

(١) ابن هشام : ج٢ ص٢٥٨ وابن القيم : زاد المعاد : ج٢ ص١٥٥–١٥٦

عليه وسلم ومع المسلمين ؟ فقالت : مايستطيع أن يخرج ، لطالما سمع الناس يصيحون به : يافرار ، فررتم فى سبيل الله !! فآثر أن يقعد فى بيته ولا يخرج [١] .

وينبغى أن يلاحظ أن غزوة مؤتة حدثت فى السنة الثامنة للهجرة ، أى أنها حدثت بعد حوالى ست سنوات من نزول سورة الأنفال التى بها آيات العدد التى أوردناها آنفاً ، وقد كان الواحد من جيش المسلمين يقابل حوالى سبعين من جيش الروم والغساسنة وكانت العملية عملية انسحاب تبعاً لخطة وليست عملية فرار ، ومع هذا لم يغفر المسلمون ذلك ، وأخذوا يعيرون به المنسحبين ، ولو كان العدد يمكن أن يلحظ لما وقف المسلمون من جيش مؤتة هذا الموقف .

ولعل ابن حزم من أدق من تحدثوا عن هذا الموضوع وأحاطوا بأكثر أطرافه ، فلنعد له لنرى رأيه ، يقول ابن حزم : ولا يحل لمسلم أن يفر عن مشرك ، ولا عن مشركين ولو كثر عددهم ، إلا أن ينوى فى رجوعه التحيز إلى جماعة المسلمين ، أو أن ينوى الكر إلى القتال ، فإن لم ينو إلا أن يولى هارباً فهو فاسق لقوله تعالى : ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار .. »

---

(١) ابن هشام حـ ٢ ص ٢٦٠

وقال قوم : إن الفرار للمسلم مباح من ثلاثة فصاعداً واحتجوا بآية سورة الأنفال وبقوله ابن عباس فى تفسيرها (١) ، وهذا خطأ ، ولا حجة لابن عباس لأن الحجه الواضحة توجد فى كلام الله وفى كلام الرسول ، وليس فى آية التخفيف نص ولا دليل يبيح الفرار عن العدد المذكور ، وإنما فيها أن الله تعالى علم أن فينا ضعفاً وأنه خفف عنا ، وفيها أنه إن كان منا مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن كان منا ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، وهذا حق وليس فيه أصلا أن المائة لاتغلب أكثر من مائتين ، ولا أن الألف لاتغلب أكثر من ألفين ، ومن ادعى هذا فى الآية فقد أبطل وادعى ماليس فيها منه أثر ولا إشارة ، ولا نص ولا دليل ، بل قال عز وجل « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » فظهر أن قولهم لادليل عليه أصلا ، ونسألهم عن فارس بطل شاكى السلاح قوى لقى ثلاثة عزلا أو ضعافاً هل له أن يفر عنهم ؟ فإن قالوا : نعم . كانت الطامة التى يأباها الله والمؤمنون وكل ذى عقل ، وإن قالوا : لا نقضوا قولهم الأول . ويروى ابن حزم عن عمر بن الخطاب قوله : إذا لقيتم فلا تفروا ، ويروى عن على وابن عمر قولهما : الفرار من الزحف من الكبائر ، ولم يخصوا عدداً من عدد (١) .

---

(١) سبق أن أوردنا رأى ابن عباس

(٢) المحلى : ج ٧ ص ٢٩٢ — ٢٩٤

بقى أن نقرر أن تاريخ الغزوات وتاريخ الفتوح الإسلامية يسجل أن المسلمين تصدوا لجيوش كثيرة العَدَدَ حافلة العَدَد ، لم يهتموا بالكثرة الهائلة فى جانب العدو ، ولم يُعرف عنهم الفرار قط ثم إن التاريخ يثبت فى عدد كبير من المعارك أن الذين فروا خوف الموت سقط عدد كبير منهم قتلى أكثر مما كان يسقط لو جالدوا وصبروا ، وذلك واضح تمام الوضوح ، فالفرار يتيح للعدو أن يحصد الفارين حصداً دون أن يضحى بشىء ، لأنه يضرِب ولا يضرَب ، أما المقاومة حتى مع التفاوت فى العدد والعدة فضحاياها أقل بكثير ، هذا من جانب ومن جانب آخر فشرف الشهيد قمة لا يقاس بها بحال من الأحوال قتل المدبر الفار ، ذلك خالد ، حسن الذكر ، طيب العاقبة فى الآخرة ، وهذا فرار ، سىء الذكر فى الدنيا ، ومأواه النار فى الآخرة .

القضاء والقدر فى المعركة

انحرف بعض الناس بعقيدة القضاء والقدر فمالوا بها إلى التوكل والاستسلام ، وانحدروا بالناس بسبب ذلك إلى الضعة والضعف والامتهان ، وقد حذر الإمام محمد عبده من نتائج هذا الانحراف مؤكداً أن من يتبعه لن ينال عزاً ، ولن يعيد مجداً ، كما أنه لا يدفع اعتداء ولا يسعى للأخذ بحق . [1] .

ومن العجيب أن عقيدة القضاء والقدر التى استحالت فى عهود الضعف إلى عقيدة الضعف والاستسلام ، أو إلى عقيدة التخلص من المسئوليات ، هذه العقيدة كانت فى العهود الأولى ، عهود الإسلام الصحيح مبعثاً للقوة والشجاعة ، وسبباً من أسباب احترام النفس وعدم الخضوع للظلم ، وذلك اتباعاً لقوله تعالى : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، قل هل تربصون بنا إلا احدى الحسنيين ؟ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنـــده ، أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون [2] » وكان المسلمون بذلك يخوضون المعارك غير

---

(١) محمد عبده : الإسلام والمسلمون ص ١١

(٢) سورة التوبة الآيتان ٥١ ــ ٥٢

هيابين ، اعتقاداً منهم بأن الحرص لن يهب السلامة ، ولذلك كانوا يبطشون بعدوهم ذات اليمين وذات اليسار ، وكانت بطولتهم تبعث الفزع فى نفوس أعدائهم فلا يصمدون أمامهم .

وهناك بيتان من الشعر عن القضاء والقدر كان الإمام على كرم الله وجهه ينشدهما فى مطلع كل معركة ، ويخوض بعد ذلك الصراع بقلب لا يهاب ، وهذان البيتان هما :

أى يومىَّ من الموت أفِرّ   يوم لا يُقْـدَر أو يوم قدِرْ
يوم لا يقدر لا أرهبـــه   ومن المقدور لا ينجى الحذر

وهكذا كان الإمام يدخل بشجاعة فائقة ، لأنه إن قد قدِّر له الموت فلن يحميه الجبن أو الفرار منه ، وإن كانت قدرت له السلامة فلن يستطيع أحد أن ينال منه مكروها ، وباسم هذه العقيدة خاض الإمام أكثر الغزوات ، وبارز الأشداء الجبابرة الذين لم يعرفوا الهزيمة ، فأوقع الهزيمة بكل من صارعه أو بارزه ، حتى عمرو بن ود بطل الجزيرة العربية فى حينه جندَله سيف الإمام بعد أن صرخ بهذين البيتين ثم نازله ، ونجا الإمام من كل الغزوات وكل المبارزات التى اقتحمها ، ولم يسقط إلا على يد غلام من الموالى طعنه طعنة خائنة أتت عليه .

ويقول الإمام محمد عبده [١] : إن الذى يعتقد أن الأجل محدود والرزق مكفول والأشياء بيد الله يصرفها كيف يشاء ، لن يرهب الموت ، ولن يخاف أحداً وهو يدافع عن حقه ، ويعلى كلمة أمته ، وبهذه العقيدة انتصر المسلمون الأول على أعداء الإسلام فنالوا منهم ، وحققوا فى تاريخ الإسلام أشرف مايحققه إنسان لدينه ووطنه .

ومن مزايا الاعتقاد بالقضاء والقدر أن الإنسان لايبالغ فى الحزن إذا نزل به مكروه ، وأنه يبدأ من جديد أملا أن يحقق فى المستقبل ماعجز عن تحقيقه فى الماضى [٢].

---

(١) الإسلام والمسلمون : ص ١١

(٢) انظر موضوع « القضاء والقدر » فى كتاب « الحياة الاجتماعية فى التفكير الاسلامى » للمؤلف

التجسس والخيانة

نهى القرآن الكريم نهياً حازماً وشاملاً عن التجسس على المسلمين، قال تعالى « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن، إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا ... [1] » وفى التجسس يقول صلى الله عليه وسلم « لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته . وقد ظهر التجسس فى مطلع الإسلام واتخذه اليهود وسيلة ليكشفوا أحوال المسلمين ، فقد ادعى بعض اليهود دخول الإسلام ولكنهم كانوا فى الحقيقة منافقين ومن هؤلاء داعس وسعد بن حنيف وزيد بن اللصيت ورافع بن حريملة وغيرهم ، وقد قال الرسول عن رافع يوم مات : اليوم مات منافق عظيم . وكان هؤلاء يتخذون المسجد وحلقات العلم مجلساً لهم ليتسقطوا أخبار المسلمين وليطلعوا على تنظيماتهم لينقلوا ذلك إلى اليهود وإلى حلفائهم المشركين ، ولكن المسلمين شكوا فى تهجدهم ، فراقبوهم حتى ظهر منهم ما ينقل هذا الشك إلى اليقين فانقض المسلمون عليهم وكشفوا أمرهم وأنزلوا بهم عقوبات مختلفة حسب ماثبت من جرائمهم [2]

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٢

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٢٦ ومابعدها وانظر كتاب « اليهودية » من سلسلة « مقارنة الأديان » للمؤلف

وقد اعتاد المسلمون إذا عثروا بجاسوس يعمل لحساب العدو ألا يشعروه بذلك فى أول الأمر ، وأن يدّعوا بعض الأسرار تصل إليه ومعها ألوان من الزيف ، وذلك ليضللوا العدو عن طريق جاسوسه ، ويقول الهرثمى (١) : لقد تحتاج فى بعض الأحوال أن يعرف عدوك بعض أحوالك وتدبيرك لما تحاول من مكايدته ، فتلطف فى ذلك بإظهاره لجواسيسه ، ليوصلوه إليه على ما يظهر لهم فيه .

فإذا اضطر المسلمون لأن يُظهروا للجاسوس اكتشافهم لأمره فإنهم يحاولون أن يعاملوه بلطف ، ويستميلوه إليهم ليحصلوا منه على أخبار تنفعهم ، أو ليرسلوا عن طريقه إلى العدو أخباراً غير صحيحة ، وقد عثر المسلمون يوم بدر على واحد من عيون قريش وحاول المسلمون تعذيبه ، ولكن الرسول نهاهم عن ذلك واستدعاه وسأله عن عدد قريش فلم يعرف ، فسأله عما ينحرون من الإبل كل يوم ، فأجاب بأنهم ينحرون تسعة فى يوم وعشرة فى يوم آخر ، فاستنتج الرسول أن العدد يتراوح بين تسعمائة وألف (٢)

---

(١) مخطوط عنوانه « مختصر فى سياسة الحروب » مصور بالجامعة العربية (ف ٨٤٤) ورقة ١٣

(٢) عبد الرءوف عون : الفن الحربى فى صدر الإسلام ص ٢١٦

وفى فتح قيسارية قتل جنود عمرو بن العاص جاسوساً رومانياً فغضب عمرو وقال لهم : هلا أتيتمونى به لأستخبره ؟ فكم من عين تكون علينا ثم تصير لنا (١) .

وكانت وسائل المسلمين لنقل جاسوس العدو ليصبح جاسوساً لهم تتفاوت بتفاوت ظروف الجاسوس ، فقد يتخذ المال وسيلة لذلك ، أو تستغل فيه نزعة خير تجذبه إلى الإسلام والإخلاص إليه ، أما إذا تعذر على المسلمين تحويل الجاسوس ليعمل لصالحهم ، فإن عقوبته تكاد تكون محددة فى التفكير الإسلامى ، فقد رأى الرسول مرة بعض عيون المشركين ، وصعب على المسلمين القبض عليه ، فأحل الرسول دمه ، وقال : اطلبوه فاقتلوه . فنفذ المسلمون أمره ، حتى لايعود لقومه بالأسرار التى جمعها ، وفى غزوة بنى المصطلق ألقى المسلمون القبض على أحد الجواسيس ، فسأله الرسول عن قومه فلم يذكر شيئاً ، فعرض عليه الإسلام فأبى ، فأمر عمر بأن يضرب عنقه ففعل (٢) ، وكان المسلمون يُلزِمون غير المسلمين بلباس خاص ليتميزوا به فلا يستطيعون الاندساس بين المسلمين والتقاط الأخبار منهم (٣) .

---

(١) الواقدى : فتوح الشام جـ ٢ ص ١٠

(٢) ابن هشام : جـ ٢ ص ٢٩٤ (٣) أبو يوسف : الخراج ص ٧٢

وتشتد عقوبة الجاسوس لو كان مسلماً ، ويقول سحنون : إذا كاتب المسلم أهل الحرب قتل ولم يستتب ، وقال غيره من أصحاب مالك : يجلد جلداً وجيعاً ويطال حبسه وينفى بموضع ينأى عن الكفار ، وقال ابن القاسم : يقتل ولا يعرف لهذا توبة وهو كالزنديق [١] ، وذلك مانراه .

أما الخيانة التى يقوم بها المسلم فهى أعم من التجسس ، إذ قد تكون لصالح العدو ، أو تكون للإضرار بالمسلمين بشكل عام ، وعقوبتها رادعة فى الإسلام ، يقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم [٢] » وقد نزلت هاتان الآيتان فى مسلم يسمى أبو لبابة كان مناصحاً لليهود خلال غزوة بنى قريظة ، فقد عرض الرسول على بنى قريظة أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان عياله وماله فى أيديهم ، فبعثه الرسول إليهم فقالوا له ماترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ ؟ فنصحهم ألا يفعلوا ، ويقول

(١) ابن القيم : زاد المعاد جـ ٣ ص ٢٩٠ والطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ص ٣١٢

(٢) سورة الأنفال الآيتان ٢٧ ــ ٢٨

أبو لبابة أنه سرعان ما أحس أنه خان الله ورسوله،ونزلت الآية ، فذهب أبو لبابة وشد نفسه على سارية فى المسجد وقال : والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علىّ . . . (١)

ويقول الله تعالى عن الخيانة وذم الخونة :

— ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ، إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً (٢) .

— ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين (٣) .

وإذا كان هذا هو حكم الله فى الخيانة على العموم ، فإن الحكم فى الخيانة أبان الحرب أقسى وأعظم ، لشدة ضررها بأرواح المسلمين وأموالهم ، وعلى مر التاريخ وقف المسلمون موقفاً حاسماً من الخونة أياً كانت مراكزهم ، ففى سنة ١٢٤٠ م تحالف اسماعيل صاحب دمشق مع الصليبيين على غزو مصر ، وجمع هذا جيشاً

---

(١) تفسير البيضاوى والنسفى (٢) سورة النساء الآيتان ١٠٧ — ١٠٨

(٣) سورة التحريم الآية العاشرة

من أهل الشام سار به متعاونا مع الجيش الصليبي لتحقيق هذا الهدف ، ولما أشرف الجيش الشامى على غزة وأصبح عليه أن يتخذ موقفه ضد الجيش المصرى مؤيداً للصليبيين ، حدثت المفاجأة التى لم يتوقعها الحاكم الخائن ولم يتوقعها الصليبيون ؛ تلك أن عساكر الشام استدازوا فى لحظة سريعة وانضموا إلى الجيش المصرى ومالوا جميعاً على الجيش الصليبي فهزموه شر هزيمة (١) .

بل حدث أكثر من ذلك فإن أمًّا أدركت ان ابنها يخون قضية المسلمين ويمالىء الصليبيين وتلك الأم هى « صفوة الملك خاتون » وابنها هو شمس الملوك فسرعان مادبرت الأم قتل ابنها ، فقد كانت بلادها ودينها أغلى لديها من ابنها الخائن (٢) .

(١) السلوك للمقريزى ج ١ ص ٣٠٥ والنجـــوم الزاهرة لابن تغرى بردى ج ٦ ص ٣٢٣ .

(١) محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ج ١ ص ٣٠٢

القرآن الكريم
ومشكلات ما بعد المعركة

الهــــدنة

أجاز القرآن الكريم أن نلجأ للصلح بعد دوران المعركة ، فليس من الضرورى أن تكون المعركة حاسمة ، بل إذا طلب الأعداء الصلح استجاب لهم المسلمون ، قال تعالى « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »(1) ولكن الفقهاء قيدوا العودة للصلح بأن يكون ذلك فى مصلحة المسلمين وأن يكون لهم الغلبة ، لقوله تعالى « فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم »(2) وقالوا : إذا لم يكن الصلح فى خير المسلمين ومصلحتهم وفى حدود الدين وتعاليمه فإنه لا يجوز حينئذ هذا الصلح حتى لا يترتب عليه إبطال الجهاد صورة ومعنى(3) .

على أن الإمام قد يلجأ للمهادنة أو الصلح لضرورة ولكن ينبغى أن يبادر المسلمون للاستعداد من جديد وبسرعة حتى يستعيدوا حقهم أو ينالوا صلح الأعزاء الغالبين كما أشارت الآية الكريمة ، وإذا أحس المسلمون ريح الخيانة من أعدائهم بعد الهدنة، كان لهم أن يعودوا للمواجهة قال تعالى « وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم

---

(1) سورة الأنفال الآية ٦١ (2) سورة القتال الآية ٣٥

(3) ابن الهمام الحنفى : شرح فتح القدير الجزء الرابع

على سواء إن الله لا يحب الخائنين »[١] أما إذا لم تحصل خيانة فيجب الوفاء بعهود الصلح لقوله تعالى « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا » [٢] وقوله « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون »[٣] .

ويشترط فى العقود التى يجب احترامها والوفاء بها الشروط الآتية :

١ — ألا تخالف حكما من الأحكام الشرعية المتفق عليها لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط .

٢ — أن تكون عن رضا واختيار فإن الإكراه يسلب الإرادة ولا احترام لعقد لم تتوفر فيه حرية الإرادة .

٣ — أن تكون العقود واضحة ، لا لبس فيها ولا غموض حتى لا تؤول تأويلا يكون مثار خلاف عند التطبيق[٤] .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٥٨ (٢) سورة الإسراء الآية ٣٤

(٣) سورة النحل الآية ٩٢

(٤) الأستاذ سيد سابق : عناصر القوة فى الإسلام ص ٢٢٢ — ٢٣٢ وانظر الاسلام عقيدة وشريعة للإمام الشيخ محمود شلتوت ص ٤٦٤ — ٤٦٥

الأسرى

بقيت كلمة عن الأسرى ورأى الإسلام فى نظام الأسر ، ومن الواضح أن الإسلام كان يتجه إلى إلغاء الرق وتحرير البشرية من وصمة استعباد الإنسان للإنسان ، فأغلق الإسلام أكثر الطرق التى كانت تؤدى إلى الرق فى الأديان والنظم السابقة ، ولكنّ قفل باب الرق عن طريق الأسر فى الحروب كان يحتاج لموافقه غير المسلمين عليه حتى لا يسترق غيرُ المسلمين من المسلمين ولا يستطيع المسلمين أن يعاملوهم بالمثل ، فترك الإسلام هذا الباب مفتوحاً بعد أن ضيقه ونظمه حتى ترتضى البشرية حكم الله وحكم العقل فى قفله تماماً (١) .

وعلى ذلك كان المسلمون يأخذون من أعدائهم ما يستطيعون من الأسرى ثم يجرى بعد ذلك تبادل الأسرى ، أو الإطلاق منًّا أى بدون نظير ، أو الاطلاق بالفداء المالى أو ما يعادله كما أطلق الرسول بعض أسرى بدر نظير قيامهم بتعليم الكتابة بعض من لا يعرفونها من المسلمين ، وقد يقتل الأسير إذا كان شديد النكاية أو الاعتداء على المسلمين ، وقد يفرض الإمام عليه الرق ، ويكثر أن يكون ذلك مع الضعاف أو الأرقاء الذين يؤثرون البقاء تحت

---

(١) انظر « الرق وموقف الإسلام منه » فى كتاب الاسلام للمؤلف ص ٢٢١ — ٢٤١

ظل الإسلام على عودتهم لسادتهم ، أو ان يكون ذلك استبقاء لبعض الأسرى من طبقة السادة لمواجهة حالة مماثلة قام بها الكفار مع بعض المسلمين حتى يمكن تحرير هؤلاء بأولئك ، يروى ابن ماجه أن إياس بن سلمة بن الأكوع روى عن أبيه قال : غزونا مع أبي بكر هوازن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنفلني أبو بكر جارية من بني فزارة من أجمل العرب ، فلما أتيت المدينة لقيني الرسول صلى الله عليه وسلم في السوق فقال : لله أبوك ، هبها لي ، فوهبتها له فبعث بها ففادى بها أسارى من أسارى المسلمين كانوا بمكة ، ويذكر الماوردى حكم الأسرى بقوله : الإمام مخير فيهم بين القتل والاسترقاق والفداء بالمال والمن عليهم[1] . وفي التاريخ الإسلامي أمثلة ونماذج لكل هذه المعاملات التي أوردناها عن الأسرى فيما عدا استرقاق الرسول لرجل بالغ فإن ابن القيم ينفيه ، قال ابن القيم : ثبت عن الرسول في الأسرى أنه قتل بعضهم ، ومنّ على بعضهم ، وفادى بعضهم بمال ، وبعضهم بأسرى من المسلمين ، واسترق بعضهم ، لكن المعروف أنه لم يسترق رجلا بالغاً ، فقتل يوم بدر من الأسرى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث ، وقتل من اليهود جماعة من الأسرى ، وفادى أسرى بدر بالمال وبتعليم جماعة من المسلمين الكتابة ، ومنّ على

---

(١) الأحكام السلطانية ص ١٢٥

ابن عترة الشاعر يوم بدر ، وأطلق يوم فتح مكة جماعة من قريش يقال لهم الطلقاء ، وهذه أحكام لم ينسخ منها شىء بل يخير الإمام فيها بحسب المصلحة ، وقال ابن عباس خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأسرى بين الفداء والمن والقتل والاستعباد يفعل الإمام ما يشاء ، هذا هو الحق لا قول سواه[١] .

---

(١) ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٢٦٠ ــ ٢٩١

كلمة ختام

وبعد ، ذلك حديث موجز عن الجهاد فى التفكير الإسلامى ، ظهر منه ان الإسلام يريد بنا خير الدنيا والآخرة ، فعلى الأمة الإسلامية أن تتدارس هذه التعاليم وأن تتمسك بها لتعبر المحنة التى نجتازها فى هذا العصر .

وأنت أيها المسلم فى كل بقاع الأرض، اذكر إلى أن زحف العدو لا يعرف حداً ولا غاية ، إنه زحف تشنه الصهيونية والاستعمار على المسلمين والأحرار فى كل مكان بالشرق ، فإن ضننت ببعض أولادك على المعركة ضاع كل أولادك وسقطوا اذلاء تعساء كما سقط نظراؤهم فى المحنة ، وإن ضننت ببعض مالك على المعركة ضاع كل مالك واحتواه العدو كما احتوى مال إخوة لك فى البقاع العربية ، وما عاشت الجزائر وتحررت إلا بعد أن قدمت الفداء ، تعال أنا وانت ، وهو وهى نخصص شيئاً من دمائنا واموالنا للجهاد لنحمى الباقى ونسترد ما ضاع ، وعلى أولياء الأمور فى البلاد الإسلامية ونحن نقدم لهم فلذات قلوبنا ونتائج عرقنا أن يدبروا الأمر بحكمة بالغة وأن يحسنوا استعمال شبابنا الذين نرمى بهم فى أتون الحرب ليجلب لنا هؤلاء النصر ، وليعودوا مرفوعى الرءوس ، ولنكن مع الله يكن الله معنا « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

مراجع البحث

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ تفاسير القرآن الكريم وبخاصة :القرطبي - الفخر الرازى - الألوسى - البيضاوى - النسفى
٣ ـ كتب الأحاديث الستة
٤ ـ مجموعة من المجلات الإسلامية
٥ ـ ابن الأثير الكامل فى التاريخ
٦ ـ أبو عبيد كتاب الأموال
٧ ـ أبو الفدا المختصر فى تاريخ البشر
٨ ـ دكتور أحمد شلبى التاريخ الإسلامى والحضـــارة الإسلامية « الأجزاء الستة »
٩ ـ « « « سلسلة مقارنة الأديان « الإسلام - المسيحية - اليهودية »
١٠ ـ « « « المجتمع الإسلامى
١١ ـ « « « الحياة الاجتماعيه فى التفكير الإسلامى
١٢ ـ « « « السياسة والاقتصاد فى التفكير الإسلامى
١٣ ـ البلاذرى فتوح البلدان
١٤ ـ ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة
١٥ ـ ابن رشد بداية المجتهد ونهاية المقتصد
١٦ ـ Ralond Oliver A Short History of Africa
١٧ ـ Stanley Lane-Poole Egypt in the Middle Ages
١٨ ـ سيد سابق عناصر القوة فى الإسلام
١٩ ـ شاهنشاه بن أيوب ذيل النوادر
٢٠ ـ الشوكانى نيل الأوطار

٢١ — الطبرى — تاريخ الأمم والملوك

٢٢ — عباس محمود العقاد — عبقرية محمد

٢٢ — عبد الحى الكتانى — التراتيب الإدارية

٢٣ — عبدالرحمن بن محمود — مجمع الأنهر فى شرح ملتقى الأبحر

٢٤ — عبدالرءوف عون — الفن الحربى فى صدر الإسلام

٢٥ — ابن القيم — السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية

٢٦ — ابن القيم — زاد المعاد

٢٧ — » » — الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية

٢٨ — Kirk — A Short History of The Middle East

٢٩ — الماوردى — الأحكام السلطانية

٣٠ — محمد أبو زهرة — تنظيم الإسلام للمجتمع

٣١ — محمد عبده — الإسلام والمسلمون

٣٢ — محمد كرد على — الإسلام والحضارة العربية

٣٣ — محمود شلتوت — الإسلام والعلاقات الدولية

٣٤ — » » — الإسلام عقيدة وشريعة

٣٥ — المقريزى — السلوك

٣٦ — النووى — تهذيب الأسماء

٣٧ — الهرثمى — مختصر فى سياسة الحروب

٣٨ — ابن هشام — السيرة

٣٩ — ابن الهمام الحنفى — شرح فتح القدير

٤٠ — الواقدى — فتوح البلدان

٤٢ — أبو يوسف — الخراج

STUDIES ON ISLAMIC CIVILIZATION

V I

AL - JIHAD (RELIGIOUS WAR) IN ISLAM

BY

AHMAD SHALABY

B. A. (Hon.) Cairo PH. D. Cambridge

ASSISTANT PROFESSOR, FACULTY OF DAR EL ULUM,

CAIRO UNIVERSITY

Published by

Nahda Bookshop, 9 Adly Street, Cairo.

الثمن ١٢ قرشاً